إسماعيل فهمى:
لا تنشروا خطاب السادات!

أعادنى كتاب وزير الخارجية الأسبق إسماعيل فهمى (التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط) والذى صدرت طبعته الجديدة هذا الأسبوع عن دار الشروق، إلى ذكريات مضى عليها حوالى ٣٠ عاما حين شاهدت بنفسى عملية الشد والجذب بينه وبين الرئيس السادات الذى كان قد أعد العدة خفية للقيام برحلته إلى إسرائيل ومحاولات وزير الخارجية تدارك الموقف وإثناءه عن الزيارة مؤكدا له أننا سنحصل على شروط أفضل فى مؤتمر السلام الذى كان يجرى فى جنيف.

الرئيس السادات

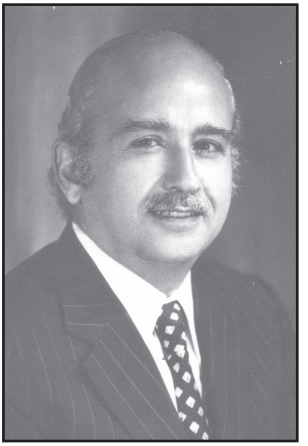

إسماعيل فهمى

كنا فى صالة التحرير بجريدة (الأهرام) مساء أحد أيام شتاء ١٩٧٧م حين دق جرس التليفون وكان المتحدث هو نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية إسماعيل فهمى والذى كانت تربطنى به علاقة عائلية وثيقة، وبعد التحية والسلام سألنى النائب إن كنت أنا المسئول عن التحرير فى تلك الليلة فقلت إننى المسئول عن (الديسك) الخارجى أما (الديسك) المركزى فكان الجالس عليه هو المرحوم محمود عبد العزيز مدير التحرير فيما بعد، وقلت للسيد إسماعيل فهمى: لكنى لا أراه أمامى الآن فربما نزل إلى المطبعة حيث

إن وقت الطبع قد أزف، فقال لى إسماعيل فهمى: حاول أن تلحق بسرعة لأن هناك تعديلا مهما فى الخطاب الذى ألقاه الرئيس السادات اليوم فى مجلس الشعب، قلت إن الموضوع (مانشـيت) الجريدة غدا، وقرأت عليه العناوين الرئيسية التى كانت تتحدث عن استعداد السـادات للذهاب إلى الكنيست فى إسـرائيل، فصاح إسماعيل فهمى: لا، لا،لا، يجب أن توقفوا الطبع فورا!

ووعدت وزير الخارجية بأننى سأتصرف على وجه السرعة، وما أن انتهت المكالمة حتى صعد محمود عبد العزيز من المطبعة وهو يتهادى بطريقته الهادئة التى كنا جميعا نحسـده عليهـا، فهنالك من الصحفيين من يثيرون الاضطراب فى صالة التحرير كلما كانت هنالك أزمة أو كارثة فيزيدون الأمور توترا، أما محمود عبد العزيز فكان يتعامل مع جميع الأخبار بالهدوء نفسه فلا يحدث لمن حوله أى ارتباك.

نظـر إلى محمود عبـد العزيز وقال: كلهـا دقيقتين وتدور المطبعـة، قلت له: يبدو أننـا سـنؤخر الطبع قليلا، ونقلت إليـه مضمون ما قاله لى إسماعيـل فهمى، فنظر إلى متشـككا فيمـا أقول، وكان عنده حق فهذا خطاب لرئيـس الجمهورية ألقاه أمام نواب الشـعب وأعلن فيه أنباء خطيرة تتعلق باستعداده للسفر إلى إسرائيل وفى حضور الزعيم الفلسـطينى ياسـر عرفات الذى تم إبراز صورته فى الجريدة وهـو جالس فى الصفوف الأولى بمجلس الشعب، وقبل دوران المطبعة بدقائق يأتى محرر الشئون الخارجية ليخبر مسـئول التحرير فى تلك الليلة أن وزير الخارجيـة يطلب تعديلا على الخطاب يخص فيما يبدو الفقرة الخاصة بالسفر إلى إسرائيل، وكان على مسئول التحرير أن يكون ساذجا يصـدق كل ما يقال له كى يسـتجيب لما نقلته له، فما علاقة محرر الشـئون الخارجية بخطاب الرئيس فى مجلس الشعب وما مدى مسئوليته حيال ما ينشر عنه، ثم ما علاقة وزير الخارجية بما ينشر من (مانشتات) فى الصحف حول خطاب الرئيس؟ أين رئاسة الجمهوريـة ولماذا لم تتدخـل؟ وأين وزير الإعلام الذى عادة مـا ينقل هذه التوجيهات بنفسه لرئيس التحرير أو من ينوب عنه؟

وعلى الفور اتصل محمود عبد العزيز بما كان يعرف بمكتب الصحافة فى وزارة الإعلام يسأل إن كانت هناك توجيهات جديدة خاصة بخطاب الرئيس فى مجلس الشعب، وكان هذا المكتب يمثل جهاز الرقابة الخفية على الصحف، ففى بداية عام ١٩٧٤م أعلن الرئيس

السادات إلغاء الرقابة على الصحف، وقال: إن الصحف قد أصبحت حرة من ذلك اليوم، وهكذا تغير اسم مكتب الرقيب التابع لوزير الإعلام ليصبح مكتب الصحافة، لكنه يظل يمارس المهام السابقة نفسها فى توجيه الصحف فيما تكتب وفيما لا تكتب، وكنا نسمى ذلك المكتب فيما بيننا مكتب حرية الصحافة.

وبالطبع أجاب الرقيب بالنفى على سؤال محمود عبد العزيز، وقال لى: فى غيبة توجيه رسمى بتغيير كلام خطاب الرئيس لا أستطيع أن أوقف المطبعة! فاقترحت عليه أن يتصل بالنائب ويستفسر منه، فتحرج قائلا إن الوقت متأخر وإن ما قاله مكتب الصحافة يمنحه غطاء كافيا لعدم وقف الطباعة، وفجأة وأثناء مناقشتى لمحمود عبد العزيز دق جرس التليفون مرة أخرى ووجدت إسماعيل فهمى يسألنى إن كنا قد أوقفنا الطبع، فناولت التليفون على الفور لمحمود عبد العزيز الذى فهم من وزير الخارجية أن علينا حذف الجزء الخاص بزيارة إسرائيل بالكامل من خطاب الرئيس، على أساس أنه كان تعبيرا مجازيا وأن نشره قد يفهم خطأ، وحين قال له محمود عبد العزيز إن مكتب الصحافة لم يصله توجيه فى هذا الموضوع احتد إسماعيل فهمى قائلا إنه لا يتعامل مع مكتب صحافة وإنه يتحدث فى هذا الموضوع بعد اتفاق مع رئيس الجمهورية نفسه.

ووضع محمود عبد العزيز سماعة التليفون وقال لى: أمرنا لله سنعيد كتابة المانشيت، وهكذا أوقف المطبعة بعد أن كانت دارت بالفعل وطلب بروفات الموضوع الرئيسى وجلسنا أنا وهو نحذف من خطاب رئيس الجمهورية كل ما قاله فى المجلس عن استعداده لزيارة إسرائيل، وما أن انتهينا من ذلك ونزل محمود عبد العزيز بنفسه إلى المطبعة بالبروفات المعدلة ليتم تنفيذها حتى دق جرس التليفون من جديد، وكنت على وشك أن أطمئن إسماعيل فهمى أننا قد قمنا بعمل المطلوب وحذفنا كلام رئيس الجمهورية حين سمعت على الجانب الآخر صوتا رخيما لا تخطئه الأذن يقول: أنا ممدوح سالم، وكان رئيس الوزراء يتصل بنفسه ليقول إن رئيس الجمهورية يطلب نشر خطابه فى مجلس الشعب كاملا ودون أى حذف، فاتصلت على الفور بمحمود عبد العزيز فى المطبعة ونقلت له ما قاله رئيس الوزراء فقال لى: وبعدين فى الليلة إللى موش فايته دى بقى؟!

لكن تلك الليلة فاتت وظهر (الأهرام) فى اليوم التالى يحمل قول السادات إنه مستعد لأن يذهب إلى إسرائيل، وعلمت من إسماعيل فهمى فيما بعد أنه فؤجئ بما قاله السادات

فى مجلس الشعب وأنه اتصل بالرئيس بعد الانتهاء من خطابه مستفسرًا عما صرح به وقائلا له: ألم نتفق على صرف النظر عن هذا الموضوع؟ فقال له السادات: أهى طلعت منى بقى وخلاص، فقال له إسماعيل فهمى: إنه سيتولى تصليح ذلك على الفور، وهكذا قام بالاتصال بنفسه بالصحف لحذف تلك المقولة من الخطاب، لكن السادات الذى كان يرتب للزيارة دون إطلاع وزير الخارجية رغم اتصالها المباشر بعمله أرسل رئيس الوزراء من وراء ظهر وزير الخارجية ليلغى تعليماته بحذف الإشارة إلى زيارة إسرائيل، وهذه الزيارة أدت فى النهاية لاستقالة إسماعيل فهمى.

وفى كتاب إسماعيل فهمى (التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط) الذى صدرت طبعته الجديدة عن دار الشروق هذا الأسبوع يشرح وزير الخارجية أنه لم يستقل من منصبه لمجرد أنه لم يستشر فى أمر الزيارة التى تقع داخل دائرة عمله، وإنما لما هو أهم من ذلك وهو رفضه من حيث المبدأ لتلك الزيارة التى يشرح فى الكتاب كيف أنها غيرت موازين القوة فى المنطقة ودمرت نظام الدفاع العربى ولقد توقع إسماعيل فهمى أن أى اتفاق سيتم التوصل إليه بعد الزيارة سيكون مقصورا على تحقيق آمال الجانب العربى إذا ما قورن بمؤتمر السلام الدولى الذى كان إسماعيل فهمى يشرف بنفسه على عقده فى جنيف والذى توقف بعد زيارة القدس فى نوفمبر ١٩٧٧م والتى خرجت بمقتضاها قضية الشرق الأوسط من قاعات الأمم المتحدة إلى دهاليز البيت الأبيض، الحليف الأول لإسرائيل.

❑❑❑

المطربة إرثا كيت:
آكـل الأرز قبـل الغنـاء!

حـين قابلـت المطربة الأمريكية الكبـيرة إرثا كيت فى عـام ١٩٧٠م كانت فى منفاها الاختيارى فى لندن بعد أن منعتها السلطات الأمريكية من دخول الولايات المتحدة بسبب ملاحظة ناقدة أبدتها حول حرب فيتنام ردا على سؤال وجه لها أثناء غداء سيدات كانت تحضره ليدى بيرد جونسون زوجة الرئيس الأمريكى آنذاك ليندون جونسون، ولقد سعدت حين أعلن بعد ذلك الرئيس الأمريكى الجديد جيمى كارتر ترحيبه بها فى بلدها واستقبلها فى البيت الأبيض.

تحتـل إرثـا كيت مكانا خاصا فى عالم الغناء الأمريكـى فهى تقدم أغنيات تجمع ما بين الموسيقى السوداء والبيضاء، أى أنك لا تستطيع أن تضعها فى مصاف إيلا فينرجيرالد أو لويـس آرمسـترونج الزنجيين واللذين تعـبر أغنياتهما عن موسـيقى الزنوج من الجاز، والسـول والبلوز، كما لا تستطيع أن تضعها مع فرانك سيناترا أو دين مارتن على الجانب الآخر، لكنها فى جميع الأحوال تعتبر من بين أهم عشر مطربات أمريكيات ممن لمعن فى فترة الخمسينيات والستينيات الماضية.

ولقد حدثتنى إرثا كيت بلا خجل عن نشـأتها التعيسـة فى ولاية كارولينا الجنوبية، حيث كانت والدتها السوداء تعمل فى إحدى مزارع القطن المملوكة للبيض وكانت إرثا ماى وهو اسمها الأصلى نتاجا لعلاقة بين هذه السيدة وابن صاحب المزرعة الأبيض، وهى تقول: على الأرجح أنها كانت واقعة اغتصاب لا أعرف، كل ما أعرفه أننى كنت ثمرة تلك العلاقة وأننى لم أكن محبوبة من أحد ولا كان يريدنى أحد لذلك لم أشعر بالحب أو العاطفة طوال فترة طفولتى إلى أن تخلت عنى أمى نهائيا وأنا فى سـن السادسـة أرسلتنى لأقيم مع قريبة لها– ربما كانت هى أمى الحقيقية لا أعرف– فى حى هارلم بنيويورك.

ولقد شعرت إرثا كيت طوال طفولتها بأنها غير مقبولة من البيض لأنها ملونة ولا من الزنوج لأنها ليست سوداء بالقدر الكافى، وربما كان هذا هو سر تميزها الموسيقى بعد ذلك، فقد سافرت كثيرا إلى أوربا وغنت بلغات غير الإنجليزية خاصة الفرنسية التى

أدخلت بعض كلماتها إلى أغنياتها باللغة الإنجليزية مثل أغنيتها الشهيرة (There is no cure for l.amour) أى (ليس هناك دواء للحب) وc.est si bon أى (كم هو جميل) وهو ما يندر أن تجده فى ربرتوار الموسيقى الأمريكية باستثناء المطربة والراقصة الزنجية الشهيرة جوزفين بيكر التى اشتهرت فى باريس فى الخمسينيات، حيث كانت تقيم قبل أن تشتهر فى الولايات المتحدة، ولا تزال حتى اليوم تعتبر جزءا من تاريخ الأغنية الفرنسية فى أواسط القرن الماضى.

على أن إرثا كيت حصلت على ما لم تحصل عليه جوزفين بيكر وهو جائزة (جرامى) التى تعتبر أعلى جائزة فى مجال الأغنية فى الولايات المتحدة والتى حصلت عليها ثلاث مرات، وقد قيل عنها فى حيثيات منحها إحدى الجوائز أنها ليست مجرد مطربة، وإنما هى (ممثلة) على المسرح وسيلة تعبيرها هى (الأغنية).

ولقد حققت إرثا كيت نجاحا كبيرا حين قام المخرج الأمريكى العبقرى أرسون ويلز فى عام ١٩٥١م بإخراج مسرحية مارلو الشهيرة (الدكتور فاوست) فى باريس وأسند فيها دور هيلانة جميلة طروادة إلى إرثا كيت قائلا مقولته الشهيرة بأنها (أكثر النساء إثارة فى العالم).

وأسأل إرثا كيت عن علاقتها بأورسون ويلز فتقول: لم يكن بيننا غير الصداقة والتقدير المتبادل رغم كل ما كان يقال غير ذلك، أما عن موضوع الإثارة هذه فتلك مسألة نسبية فأنا لست جميلة كما ترى، لكنى قد أكون مثيرة للبعض وليس للبعض الآخر.

وتبدو لى إرثا كيت المولودة عام ١٩٢٧م (على حد قولها) فى صحة جيدة ومحتفظة بشبابها بدرجة لافتة، وقد شرحت لى أنها تحافظ على صحتها فتتبع نظاما غذائيا خاصا، وتقوم بتدريباتها الرياضية بانتظام وتشرح لى أنها حين يكون لديها حفل موسيقى فهى لا تأكل قبله إلا قليلا من الأرز، (فالأرز يملأ المعدة ويعطى شعورا بالراحة، لكنه لا يثقل على)، ثم تقول: أعرف أن بعض المطربين يتناولون المهدئات وأشياء أخرى قبل صعودهم على المسرح، أما أنا فأتناول الأرز لأنى لا أتعامل مع الأدوية على الإطلاق.. وتصمت قليلا لتعود فتقول: (أسمع أن لديكم فى مصر أحد أفضل أنواع الأرز).

فأقول لها: هو ليس فى حجم الأرز الأمريكى المعروف باسم (انكل بنز) وحبته ليست فى طول حبة أرز (بسمتى) لكنه يتمتع بطعم أفضل منهما، فصاحت إرثا كيت: يجب

أن آتى إلى مصر.. قلت: ألم تزوريها قط؟.. قالت: مررت بها فى طريقى إلى أماكن أخرى، لكن على أن أزورها لأمكث فيها بعض الوقت ولأجرب هذا الأرز الذى تتحدث عنه.

وأسأل إرثا كيت عن منفاها الاختيارى فى لندن فتقول: إننى أعشق بلادى رغم طفولتى التعسة فيها، وإذا كان لى موقف من حرب فيتنام، فذلك لأنى لا أحب لبلدى أن تنخرط فى مثل هذه الأعمال العسكرية العدوانية، لقد كنا نفخر بأننا ليس لدينا تاريخ استعمارى لكنى أخشى أن ذلك قد تغير، وقد كان المجتمع الأمريكى كله ضد حرب فيتنام ولم أكن وحدى فى ذلك، لكنى كنت وحدى التى وضعت فى القائمة السوداء لأنى حين سئلت عن رأيى فى الحرب قلت بصراحة أمام زوجة الرئيس الأمريكى الذى صعد من تلك الحرب حين دخل البيت الأبيض وهو لندون جونسون، وهكذا بدأ الهجوم الرسمى على، لكن تعلمت خلال حياتى أن تلك الفضلات التى تسقط على الأرض تحولها الأرض إلى سماد يقويها..

ثم تنظر إرثا كيت أمامها فى الفراغ وهى تقول: (لقد أمضيت حتى الآن أربع سنوات خارج الولايات المتحدة، حيث عشت فى البداية فى باريس ثم الآن فى لندن، لكنى سأعود قريبا إلى بلدى، أنا واثقة من ذلك).

لكن إرثا كيت كان عليها أن تنتظر أربع سنوات أخرى قبل أن تعفو عنها الإدارة الأمريكية ويكرمها الرئيس الأمريكى جيمى كارتر بدعوتها إلى البيت الأبيض عام ١٩٧٤م.

❑❑❑

ألفريد ليلينتال:
لماذا تصدقون الدعاية الصهيونية؟!

أمضى الكاتب السياسى اليهودى ألفريد ليلينتال حياته يحاول تصحيح المفاهيم الخاطئة التى كانت تروجها آلة الإعلام الصهيونى فى الولايات المتحدة والتى كان فى مقدمتها أن العرب يريدون إلقاء إسرائيل فى البحر، وقد حصل ليلينتال على حكم قضائى بعدم صحتها بعد أن ثبت أمام المحكمة أنها لم تصدر عن أى زعيم عربى.. لكنه شعر فى نهاية حياته أنه قد خسر المعركة حين وجدنا نحن العرب نعود لتصديق أن هذه المقولة قد صدرت عنا.

كان ألفريد ليلينتال كاتبا يهوديا أمريكيا من المعادين للصهيونية وقد أمضى حياته يكتب عن التجاوزات التى ترتكبها إسرائيل بداية من استيلائها فى عام ١٩٤٨م على أرض عربية لم ينص عليها قرار التقسيم الذى قامت بموجبه إلى تحرشاتها بالعرب بعد ذلك من أجل الاستيلاء على مزيد من الأراضى بطرق غير قانونية، أما الإرهاب الذى مارسته إسرائيل على السكان الفلسطينيين فى المدن والقرى التى أرادت إسرائيل إخلاءها من السكان من أجل توطين اليهود القادمين إليها من الخارج فكان – حسب رأى ليلينتال – غير مسبوق فى العالم وكان فى مقدمة القرى التى شهدت مثل هذا الإرهاب دير ياسين التى عاشت مذبحة رهيبة مورست خلالها أعمال وحشية يشيب لها الولدان حتى تم إفراغها من سكانها الأصليين ومحيت من على الخريطة ليقام بدلا منها مدينة إسرائيلية هى كريات شمونة التى تردد اسمها كثيرا خلال حرب لبنان الأخيرة حين أطلق حزب الله الصواريخ عليها، وقد نجحت إسرائيل فى محو دير ياسين ليس فقط من الخريطة ولكن أيضا من الذاكرة فأخذنا نحن العرب نطلق عليها اسم كريات شمونة. فتحدثت وسائل إعلامنا أثناء الحرب عن أن الصواريخ طالت كريات شمونة بينما هى فى الحقيقة دير ياسين التى لم نعد نذكرها الآن إلا فى أحاديثنا عن المذبحة التى وقعت عام ١٩٤٨م.

لقد تحدث ألفريد ليلينتال عن كل ذلك فى الخمسينيات والستينيات حين لم يكن أحد فى الولايات المتحدة يعرف أيًا من هذه المعلومات. فكان يلاقى هجوما شديدا من جميع

وسائل الإعلام التى يسيطر عليها النفوذ اليهودى والتى كانت ترى فيما ينشره ليلينتال من معلومات فضحا لأسلوبها فى إخفاء الحقائق عن الشعب الأمريكى لكنه لم يكن يخشى هذا الهجوم وظل يهاجم ما كان يطلق عليه *disinformation* أى الإعلام الخاطىء.

وقد أصدر ليلينتال مجموعة من الكتب فى هذا الصدد كان أشهرها كتابا صغيرا ذا غلاف أسود يحمل عنوان what price Israel أى (أى ثمن يا إسرائيل؟) تحدث فيها عن الثمن الإنسانى الفادح الذى على اليهود فى العالم أن يدفعوه من احترام العالم لهم وعطفه عليهم، فقد كان ليلنتال يعتقد أن العالم – إن آجلا أو عاجلا – سينقلب على إسرائيل بسبب ممارساتها الوحشية وغير القانونية وأن ذلك سينعكس بالضرورة على أمن اليهود فى العالم أجمع، أى أن ثمن إقامة دولة إسرائيل سيكون عودة العالم لاضطهاد اليهود مرة أخرى، وهذا يعنى عدم صحة النظرية القائلة بأن إقامة إسرائيل سيكون من شأنها حماية اليهود من أى اضطهاد بعد ذلك.

ولقد روى لى ليلينتال أنه درس طرق اللاإعلام أو الإعلام الخاطىء الذى تتبعه أجهزة الإعلام الموالية لإسرائيل فوجد أنها بدلا من إعلام الجمهور بأن تنقل إليه المعلومات المعبرة عن الحقيقة فإنها تختلق معلومة خاطئة وتعتمد عليها فى بث وجهة نظرها التى هى عكس الحقيقة وقد اتخذ ليلينتال مثالا شهيرا كان يردده دائما فى كتاباته وفى أحاديثه الخاصة وهو مقولة إلقاء إسرائيل فى البحر التى قيل إن الرئيس المصرى جمال عبد الناصر هو الذى نادى بها فصارت هى سياسة العرب جميعا تجاه إسرائيل.

ولم تكن الدوائر الصهيونية لتسكت على ما يقوم به ليلينتال من فضح لوسائلها فى خداع الشعب الأمريكى فكانت تهاجمه بضراوة، وحين قام بزيارة إلى القاهرة والتقى خلالها بالرئيس جمال عبد الناصر قامت ضده حملة ضاربة واتهمته الدوائر الصهيونية بأنه يساند من يعدون لـ (هولوكوست) جديد ضد اليهود وأنه التقى بهتلر العرب الذى يريد إلقاء اليهود فى البحر. ولقد لجأ ليلينتال إلى القضاء متحديا من اتهموه زورا وبهتانا بأن يأتوا بخطاب واحد للرئيس عبد الناصر أو تصريح له قال فيه إن على العرب إلقاء إسرائيل فى البحر وبعد أشهر من المداولات فى المحاكم كسب ليلينتال قضيته بعد أن عجز أعداؤه عن إثبات صحة هذه المقولة التى قام عليها الإعلام الصهيونى منذ قيام دولة إسرائيل واستطاع أن ينشرها فى الإعلام الغربى كله باعتبارها إحدى الحقائق الغائبة.

لكن لأن مقولة إلقاء إسـرائيل فى البحر كانت هى حجر الزواية فى الإعلام الصهيونى تمسـكت بهـا أجهزة الإعـلام الأمريكية حتى بعـد أن ثبت عدم صحتهـا.. وظلت هذه الأجهزة ترددها بالرغم من ذلك وكان ليلينتال فى كل مرة يقول إن تلك مقولة غير صحيحة وإن إسـرائيل هى التى ألقت بعرب فلسـطين فى البحر وإن هناك حكما قضائيا صادرًا من المحاكم الأمريكية يؤكد عدم صحة هذه المقولة الخادعة.

ولقد التقيت بليلينتال مرات عديدة فى القاهرة وفى نيويورك حيث كان يقيم ثم انقطعت أخباره خلال النصف الثانى من السـبعينيات وتوقفت النشـرة الشهيرة التى كان يصدرها للـرد علـى مزاعم الإعلام الصهيونى إلى أن قابلته مصادفة فى أحد شـوارع نيويورك وقت التفاوض حول اتفاقية كامب ديفيد فقال لى: اليوم خسرت قضيتى فقد سلم العرب لإسرائيل بصحة مواقفها وكأنهم هم المخطئون، إنه الاستسـلام التاريخى الذى سيغير تاريخ المنطقة لتصبح إسرائيل هى القوة الكبرى فى الشرق الأوسط وتصبح أكاذيبها حقائق.

وكان أكثر ما يؤلم اليهودى ألفريد ليلينتال أن الجانب العربى قد اسـتخدم فى تبريره لمواقفه الجديدة المعلومات الخاطئة نفسـها التى قام عليها الإعلام الصهيونى وفى مقدمتها مقولـة إلقاء إسـرائيل فى البحر والتى انطلقت أبـواق إعلامية عربية فى ذلك الوقت تقول إنها كانت سياسة ثبت فشلها وأن الدولة التى أرادت إلقاء إسرائيل فى البحر قد انهزمت عسكريا وعليها الآن الاعتراف بخطئها وقبول إسرائيل.

واليوم مازال البعض منا إذا أراد تبرير سياسة السلام مع إسرائيل يقول إننا لم نتمكن من إلقائها فى البحر فكان علينا أن نتفق معها، بل إن بعض من يهاجمون سياسة الستينيات يقولون إنها كانت ترفع شـعارات هى غير قادرة على تحقيقها وفى مقدمتها بالطبع يأتى شعار إلقاء إسرائيل فى البحر الذى ثبت بحكم محكمة أمريكية أننا لم نقله، لكن إسرائيل أقنعت العالم بصحته بمن فى ذلك نحن، وهو ما لم يفهمه ألفريد ليلينتال.

❑❑❑

جيهان السادات:
ستعود ثانية إلى الكتابة!

المرة الأولى التى قابلت فيها السيدة جيهان السادات كانت فى السبعينيات فى بيت توفيق الحكيم حين جاءت لتقدم واجب العزاء للكاتب الكبير فى وفاة ابنه الشاب إسماعيل والذى كان متزوجا من شقيقتى الصغرى، يومها اتصلت الرئاسة بمنزل الحكيم وطلبت ألا يكون فى المنزل وقت زيارة قرينة رئيس الجمهورية إلا أفراد العائلة فقط، ولم يعرف الكاتب الكبير ماذا يفعل بالمعزيين الذين كانوا يتوافدون على بيته طوال اليوم.

حين وصلت فى ذلك اليوم إلى منزل توفيق الحكيم بعمارة سيف الدين على كورنيش النيل بجاردن سيتى لم أكن أعرف أن قرينة الرئيس ستحضر لتقديم العزاء، كان بالعمارة مصعدان وجدت أحدهما بابه مفتوحا فهممت بدخوله، لكن رجلين يرتديان الملابس المدنية طلبا منى أن استخدم المصعد الآخر، فلم أفهم السبب إلا بعد أن صعدت إلى الشقة وعرفت أن قرينة الرئيس ستصل خلال دقائق.

كان المناخ العام فى المنزل متوترا بعض الشىء، وقال لى الحكيم: إنه محرج من المعزين ولا يعرف كيف يطلب منهم الرحيل، وتوصلنا أنا وزوج ابنته إلى حل توفيقى وهو أن نطلب من المعزين الدخول إلى الغرفة الداخلية للمنزل ونترك غرف الاستقبال خالية إلا من أفراد الأسرة حسب تعليمات أمن الرئاسة.

وسط هذا الجو المشحون الذى استنفر الحاضرين وصلت قرينة الرئيس، لكنها ما أن جلست وسط أفراد الأسرة وبدأت تتحدث حتى تبدل الجو وبددت ابتسامتها الصادقة الهادئة الغيوم التى أطلقتها تعليمات الأمن الصارمة وسحر حديثها الحضور جميعا.

وقد حرصت جيهان السادات على الحديث مع جميع أفراد الأسرة فردا فردا وكأنها كانت تعرفهم منذ زمن.. بل تعرف كل شىء عنهم، فقد فوجئت أنها حين سألتنى عن أحوالى قالت لى: إن شاء الله نرجع نقرأ كتاباتك تانى فى (الأهرام)، فقد كنت فى ذلك الوقت ممنوعا من الكتابة ضمن عدد كبير من الصحفيين كان يرى نظام السادات أنهم معادون لسياساته.

ومكثت جيهان وقتا طويلا تتحدث إلى توفيق الحكيم قائلة له: أنت قيمة كبيرة فى حياتنا يا توفيق بك، وقد تعلمنا منك الكثير فلا تدع الحزن يهزمك أو ينال منك! كما تحدثت إلى شقيقتى هداية قائلة لها: كل شىء يولد صغيرا ويكبر إلا الحزن، فهو يولد كبيرا وسرعان ما نتعلم كيف نتعامل معه ونكمل حياتنا، وأنت فى العشرينيات من عمرك والحياة كلها مازالت أمامك.

وخلال الـ ٤٥ دقيقة التى استغرقتها زيارة السيدة جيهان لمنزل توفيق الحكيم كان الجو العام قد تحول ١٨٠ درجة، وبعد أن خرجت كان زوج ابنة الحكيم هو الذى عبر عن شعور باقى أفراد الأسرة حين قال تلقائيا: إنها سيدة عظيمة، وإنه لفخر أن تكون هذه هى سيدة مصر الأولى!

وقد تكررت بعد ذلك لقاءاتى بالسيدة جيهان السادات فى مناسبات اجتماعية متعددة كانت كلها بعد رحيل الرئيس السادات، وفى عام ١٩٩٦م كانت تعرض لى مسرحية (الجنزير) وفى لقاء معها تحدثت إحدى صديقاتها عن المسرحية والنجاح الذى حققته فدعوت السيدة جيهان لحضورها مع صديقاتها الحاضرات.

كانت قد مرت حوالى ٢٠ سنة ما بين اللقاء الأول وهذا اللقاء تغيرت خلالها أشياء كثيرة حيث اغتيل رئيس الجمهورية وانتقلت قرينته إلى صفوف المواطنين العاديين فلم يعد يسبقها أفراد الأمن بما يشيعونه من توتر إلى الأماكن التى تعتزم زيارتها، لكن الشىء الذى لم يتغير هو شخصية السيدة جيهان الخلابة وتأديتها للواجب، وقد روت لى ابنتها نانا حرم المهندس محمود عثمان ذات يوم أنها بعد مقتل الرئيس السادات مباشرة سمعت أن سكرتيره الخاص السيد فوزى عبد الحافظ فى حالة حرجة بسبب إصابته فى الحادث، وأن حالته النفسية والمعنوية قد ساءت بعد أن علم بمقتل الرئيس، وهنا طلبت السيدة جيهان من بناتها أن يخلعن السواد على الفور ويذهبن معها إلى المستشفى لزيارة فوزى عبد الحافظ، وفى غرفته بالمستشفى جلست قرينة الرئيس وبناتها بملابسهن العادية وأخذت السيدة جيهان التى لم تكن قد أفاقت بعد من فجيعة رحيل الرئيس، تؤكد لسكرتيره الخاص الذى خدمه طوال فترة رئاسته أنه لا داعى للقلق وأن الرئيس بخير وأنه فى منزله بالقناطر، وذهبت إلى حد القول: عايزنى اطلبهولك فى التليفون علشان تصدق؟!

وبعد أن قامت قرينة الرئيس بواجبها ورفعت قليلا من الروح المعنوية لسكرتير الرئيس عادت هى وبناتها إلى منزلهن فارتدين ملابس الحداد مرة أخرى ليستقبلن المعزين.

كانت المشـكلة التى تقلقنى حين وصلت السيدة جيهان مع صديقاتها إلى مسرح السلام بشارع قصر العينى هو المشهد الختامى للمسرحية التى يقتحم فيه أفراد إحدى الجماعات الإسـلامية المتطرفة خشـبة المسرح ويطلقون النار على أحد أبطال المسرحية، ثم تدخل فى أعقابهم قوات الشـرطة فتحول المسـرح إلى سـاحة قتال تطلق فيها الأعيرة النارية فى كل اتجاه، وعندئذ تخرج الفنانة الراحلة ماجدة الخطيب التى كانت تؤدى دور الأم إلى مقدمة المسرح صائحة كالحيوان الجريح (بلدى)! وينزل الستار.

وقد كنت أخشـى على السـيدة جيهان التى كانت تجلس فى الصف الأول من التأثر من ذلك المشـهد الدامى الذى قد يعيد إليها ذكرى مشـهد اغتيال الرئيس ووجدت أنه من الأفضـل ألا تفاجـأ به على حين غرة، لذلك قلت لها بشـكل عابر أثنـاء حديثى معها فى الاسـتراحة بعد الفصلين أن المشـهد الختامى فيه ضرب نار قوى بين أفراد الجماعة الإرهابية والبوليس، وفهمت السـيدة جيهان مقصدى على الفور، لكنها أرادات أن تؤكد لى صلابتها فردت علىّ قائلة: حسـنا فعلت أن قلت لى ذلك حتى أخبر السـيدات اللاتى مع كى لا يفزعن.

وبعد انتهاء العرض هرعت إليها، لكنها كانت رابطة الجأش فأبدت إعجابها بالمسرحية وطلبت مقابلة أبطال العرض لتهنئتهم.

❑❑❑

بيل كلنتون:
صورتنا معا مزورة!

قابلت الرئيس الأمريكى بيل كلنتون لأول مرة فى القاهرة بعد خروجه من البيت الأبيض، فقدمت له صورة فوتوغرافية تجمع بيننا وقلت له: هل تذكر هذه الصورة؟ فأخذ كلنتون الصورة التى ظهر فيها وهو يضع يده فى يدى مصافحا، وظل يتفحصها مليا ثم سألنى: أين كان ذلك؟ فلم أرد، فنظر إليها ثانية ثم صاح فجأة: إنها مزورة!

كان كلنتون يرتدى بدلة رمادية وربطة عنق فى لون الفيروز، وقد حضر إلى القاهرة لإلقاء الكلمة الرئيسية فى إحدى الحفلات التى أقيمت لصالح جمعية جيل المستقبل، كان الحفل يضم حوالى ألف مدعو، لكن منظموه أرادوا للضيف الأمريكى الكبير أن يلتقى ببعض الحضور فقدمونى له حيث تبادلنا بعض كلمات التعارف للحظات إلى أن جاء دور غيرى ليتعرف إليه.

ولقد استغرقت كلمة كلنتون فى الحفل حوالى ٤٠ دقيقة تحدث خلالها عن الشرق الأوسط وخبرته الطويلة به، ودعا إلى ضرورة قيام دولة فلسطينية وطالب بالنظر للإسلام نظرة سليمة، وقال: إنه كان أول رئيس أمريكى يرسى تقليد الاحتفال بعيد الفطر المبارك فى البيت الأبيض أسوة بأعياد الأديان الأخرى التى يدين بها الشعب الأمريكى.

وطرح كلنتون فكرة عظيمة حيث طالب الولايات المتحدة بمساعدة الدول الأخرى الفقيرة فى العالم الثالث قائلا: إنه لا يمكننا أن نتحدث عن العولمة وعن المسئولية الدولية للولايات المتحدة دون أن تترجم هذه المسئولية إلى خطوات فعلية لأنه إذا كانت للولايات المتحدة مسئولية فى الداخل لتحقيق رخاء رعاياها، فإنه لا يمكن التغاضى عن هذه المسئولية فى الخارج. وقال (إننا لا يمكن أن نتجاهل آلام الشعوب الأخرى لمجرد أنهم يعيشون خارج حدود بلادنا، فالحدود قد سقطت فى عالمنا الذى نعيشه الآن).

وقد لا يعرف البعض أن حياة كلنتون فى الوقت الحالى تعتمد إلى حد كبير على مثل هذه المحاضرات التى يلقيها كلما دعى إلى ذلك فى أى من مدن العالم نظير أجر محدد، وقد ألقى كلنتون محاضرة مماثلة قبل حضوره إلى القاهرة كانت فى لندن وقد أذاعتها قناة (بى بى سى) البريطانية، فى حينها.

وقد يبدو ذلك غريبا على البعض عندنا، لكنه تقليد راسخ معمول به فى الكثير من الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة حيث يتم استثمار اسم المشاهير ليس فقط فى

إلقاء المحاضرات، إنما أيضا فى افتتاح بعض الأنشـطة أو حتى بمجرد التواجد فى بعض المناسـبات، وهناك وكالات متخصصة فى هذا الموضوع، فإذا أقام أحد حفل عشاء لمناسبة أو أخرى وأراد أن يكون بين مدعويه أحد نجوم السـينما مثلا أو الغناء اتصل بإحدى هذه الوكالات فيقولون له إن دعوة توم كروز مثلا ستكلفك كذا ودعوة مادونا ستكلفك كيت.

أما المسـئولون الكبار مثل الرؤسـاء أو الوزراء السابقين فعادة ما يقوم مدير أعمالهم بهذه المهمة لأن الرئيس السابق مثله مثل ممثل هوليوود له معجبوه الذين سيتوافدون لمقابلته ولسماع ما سيقوله، فإذا كان الهدف من المناسبة هو جمع المال لغرض خيرى مثلا. فإن وجود مثل هذا النجم يضمن حضور أكبر عدد من الناس، وهو ما حدث بالفعل مع كلنتون فى القاهرة حيـث تـبرع اثنان من رجال الأعمال بأجر كلنتون ونفقات سـفره وإقامته، وكان من نتائج حضوره أن بيعت جميع تذاكر الحفل ودخل إيرادها كاملا إلى الجمعية التى أقامت الحفل.

وقد حضر البعض إلى الحفل متشـوقا لسـماع ما سـيقوله الرئيس الأمريكى السابق فى محاضرتـه، والأفكار التى قـد تكون لديه الآن وقد خرج من البيـت الأبيض، أما البعض الآخر فقد جاء ليتفرج على الرئيس ذى الشـعر الفضى الكثيف والذى يعتبر أكثر الرؤسـاء الأمريكيين وسامة وقد تم تخصيص صالون ملاصق لصالة الاحتفالات التى أقيم بها الحفل بأحـد الفنادق الفاخرة ليلتقى كلنتون ببعض كبـار رجال الأعمال المتبرعين للحفل وبعض مسئولى جمعية جيل المستقبل والتقطت لهم الصور التذكارية مع الضيف الأمريكى الكبير، ثـم خرج كلنتون من الصالون إلى صالة العشـاء فقام منظمو الحفـل بتقديم بعض الضيوف إليـه فتبادل معهم بعض كلمات التعارف، أما الفئة الثالثة من المهتمين بالرئيس الأمريكى السـابق فكانت تلك التى تحلقت حوله بعد العشـاء وقبل أن يلقى كلمته وحاولت تقديم نفسـها له بنفسـها إذا لم يقف الزحام حائلا دون وصولها إليه، وقد حصل البعض منهم على توقيعه على برنامج الحفل.

وكان منظمو الحفل قد أخبرونى أنهم يودون تقديمى للرئيس الأمريكى وسألونى: هل قابلته من قبل؟ فقلت: لا ولا مرة، وقبل أن أذهب إلى الحفل حملت معى صورة طريفة مركبة مع صـورة للرئيـس كلنتون وهو يصافحنى، ففى بعض الكبائن المخصصة لهذا الغرض فى مدينة نيويـورك يمكنـك أن تختار أن تظهر فى صورة مع مارلين مونرو أو مع رئيس الجمهورية أو غيرهما، وفى صورة كلنتون يظهر الرئيس وهو يصافح أحد الأشخاص وما عليك إلا أن تضع وجهك فى المكان المخصص لذلك فيبدو الرئيس وكأنه يصافحك أنت.

وقد كنت فى ميدان (تايمز) بقلب نيويورك مع بعض الأصدقاء، وكان أحدنا يحتاج إلى صورة شـخصية يسـتخرج بها إحدى البطاقات ومررنا على إحدى هذه الكبائن وطلبنا منه

تصويــر صديقنا فقال: مع من؟ إليزابث تايلور أم محمد على كلاى أم مايكل جاكســون.. قلنا: نريد صورة له وحده، فقال الرجل: لا بأس لكنك ستظهر فى شكل طرزان!

وهكذا تم تصوير صديقنا بالفعل على هيئة طرزان ثم قام الرجل بقص وجهه من الصورة ليســتخرج به البطاقة المطلوبة، وقمنا نحن بالتقاط صورنا كل مع الشخصية التى يريدها، فكان رئيس الجمهورية من نصيبى أنا.

وبعد أن عدت إلى القاهرة نســيت قصة هذه الصورة إلى أن سُــئلت إن كنت قد التقيت بكلنتــون من قبل فتذكــرت صورتى معه وأخذتها معى لأطلعه عليها، وقد دهشــت حين علمت من كلنتون أن تلك هى المرة الأولى التى يشاهد فيها واحدة من هذه الصور التى كان يعلم بأمرها لكن لم يتصادف أن رأى أيا منها.

وأخذ كلنتون يدقق النظر فى الصورة وهو يبتسم فوعدته بأننى سأطبع منها نسخة وأرسلها له على الفندق قبل ســفره، وحين عدت إلى طاولتى قال أحد الجالســين متفاخرا إنه كان فى الصــورة الجماعيــة التى التقطت لكلنتون مــع مجموعة رجال الأعمــال، فقلت له: كم كان عددكم؟ قال: حوالى عشــرة أشــخاص، قلت له وقد أخرجت الصورة من جيبى: أما أنا فإن صورتى لا يظهر فيها إلا أنا وكلنتون فقط، فأخذ ينظر إلى الصورة فى غيظ واضح ثم أعادها إلىّ دون تعليق وحين رويت قصة الصورة ضحك جميع الجالسين على الطاولة إلا هو.

كلينتون ومحمد سلماوى

أميرة لشتنشتاين:
ألعب البريدج لأقتل الوقت!

وسط بريق الماس على صدور النساء وومضات حبات الكريستال التى تتدلى من الثريات الضخمة فى سقف كازينو «دوفيل» الشهير بفرنسا تجرى سنويا المباراة الدولية للعبة «البريدج»، ومدينة دوفيل الواقعة على شاطئ الأطلنطى هى مصيف أصحاب الملايين ومشاهير النجوم وأصحاب الأسماء اللامعة فى المجتمع، وقد عرفها المصريون فى الأربعينيات من القرن الماضى، حيث كان يؤمها كل صيف الملك السابق فاروق.

لقد وصلت إلى «دوفيل» فى زيارة لم أكن أتوقعها، فقد كنت فى باريس لمقابلة صحفية مع رئيس الوزراء الشاب الذى كان قد تولى منصبه منذ أسابيع قليلة فقط وكان اسمه جاك شيراك، كان ذلك فى خريف عام ١٩٧٥م وكانت هناك انتخابات بلدية فى ذلك الوقت شغلت شيراك الذى كان يتزعم كتلة الشباب فى الحزب الديجولى، لذلك تأجل موعدنا بضعة أيام ووجدت مكتب رئيس الوزراء يتصل بى فى فندقى بباريس ليخبرنى بأن الموعد الجديد مع رئيس الوزراء سيكون فى الأسبوع التالى وبأننى فى تلك الأثناء سأنزل ضيفا على عمدة مدينة «دوفيل» الساحلية لحضور احتفالاتها بمباريات البريدج السنوية. كانت مفاجأة سارة بالنسبة لى. ولما لم أكن قد زرت «دوفيل» من قبل فقد رحبت بالدعوة قائلاً لمحدثتى العاملة بمكتب رئيس الوزراء إننى أتفهم تماما أهمية الانتخابات بالنسبة للحزب ورجوتها أن تؤكد لرئيس الوزراء أن تلك الانتخابات لها كل ما يريد من اهتمام مهما طالت المدة.

وحين وصلت إلى «دوفيل» كنت من القلائل الذين وصلوا على متن طائرة تجارية، حيث وجدت مطار المدينة يمتلئ بالطائرات الخاصة التى يأتى أصحابها إلى «دوفيل» من جميع أنحاء أوربا سواء لقضاء الصيف أو ربما لقضاء ليلة واحدة فقط بالكازينو الشهير يعودون بعدها من حيث أتوا.

ومن بين كبار المترددين على «دوفيل» الأميرة جورجينا فيلزك أميرة لشتنشتاين التى تجرى مباريات البريدج كل عام تحت رعايتها، ولشتنشتاين هى إمارة مستقلة تقع بين

النمسا وسويسرا ولا يزيد طولها على ٢٤ كيلو مترا من الشمال إلى الجنوب وعرضها على ٩ كيلو مترات من الشرق إلى الغرب، وتعتبر هى وإمارة «موناكو» توأم صغيرتين وسط بقية دول القارة الأوربية.

وعلى مائدة عمدة المدينة فى قاعة «السفراء» بكازينو «دوفيل» التقيت بأميرة لشتنشتاين فوجدتها سيدة ظريفة غير متكلفة تكسو وجهها ابتسامة هادئة تشير إلى أن حياتها تخلو تماما من المشاكل.

كان مضيفى عمدة «دوفيل» هو ميشيل دورنانو ذو الأصول الأرستقراطية والذى كان يشغل منصب وزير الصناعة والبحث العلمى فى الوزارة السابقة فى عهد الرئيس فاليرى جيسكار ديستان. وقد أجلسنى على طاولته بين أميرة لشتنشتاين على يمينى ولوسيان بارييز على يسارى والذى يملك حوالى ٨٠٪ من مدينة «دوفيل» بما فى ذلك الكازينو الذى نجلس فيه وفنادق المدينة كلها، وكنت قد سمعت من أهل «دوفيل» أن بارييز أقرض الحكومة الفرنسية مبلغا كبيرا من المال منذ سنوات، وأنها لم ترده حتى ذلك الوقت.

أما حول طاولتنا فقد تناثرت طاولات أخرى امتلأت بالكثير من الوجوه المألوفة من المشاهير ونجوم المجتمع، أما مباريات البريدج نفسها فكانت ستجرى فى اليوم التالى فى قاعة أخرى من الكازينو غير قاعة «السفراء» المخصصة للاحتفالات الكبرى، وقد أشار بارييز إلى إحدى هذه الطاولات قائلا لى: هنا كان يجلس الملك فاروق حين كان يأتى إلى الكازينو.

وسألتنى الأميرة بعد أن عرّفنى بها العمدة: هل تلعب «البريدج» قلت على استحياء: ليس كثيرا، لكن الحقيقة التى لم أشأ أن أقولها للأميرة فى أول لقاء لى معها، هى أننى لا ألعب البريدج على الإطلاق، وأننى أجد فيها مضيعة كبيرة للوقت، فهى تتطلب مجهودا ذهنيا كبير وتركيزا عاليا لا يتناسب فى رأيى مع أهميتها المنعدمة بالنسبة لى، وأننى أفضل أن أمضى ذلك الوقت فى القراءة أو الكتابة.

لم أقل لأميرة لشتنشتاين أيا من ذلك خاصة أننا فى ليلة الاحتفال ببدء مباريات «البريدج» التى ترعاها الأميرة، ومع ذلك فقد بدا لى فى حديثها أنها لا تقدر البريدج بالدرجة التى كنت أتوقعها، فقد أخبرتنى فى حديثنا أن زوجها يكبرها بـ ٢٥ عاما وأنه لم يعد بمقدوره الآن أن يترك القصر لكبر سنه، وأن هذا الوضع يترك لها وقتا طويلا

لا تعـرف كيـف تملؤه، ثم قالت: أنا ألعب البريدج لكـى أقتل الوقت! لكنها مع ذلك اعترفت بأنها تعشـق اللعبة إلى حد الإدمان وأنها لا تسـتطيع أن تبتعد عنها أكثر من أيام معدودة، ثم قالت: ألا يعتبر هذا إدمانا؟ فهززت رأسى بالموافقة. فابتسمت الأميرة مرة أخرى.

ورغـم أن معظم من كانوا علـى الطاولة كانوا يتحدثون عن البريـدج فقد تركز حديثى مـع الأمـيرة على إمارة لشتنشـتاين، وقد أخبرتنى أن اسـتقلالها يعـود إلى عام ١٨٦٦م وقالـت إن قـوة الإمارة فى صغرها، فهى أصغر مـن أن يطمع فيها أحد، على حد قولها، وقـد أخبرتنى أن برلـمان الإمارة يتكون من ١٥ عضوا فقط، أمـا الحكومة فهى تتألف من رئيـس ونائـب للرئيس وثلاثة مستشـارين، وقالت إن الأمير هو الـذى يعينهم بناء على توصيـة البرلمان، لكن لشتنشـتاين – كما علمت من الأمـيرة – تتمتـع بواحـدة مـن أهم المجموعـات الفنية وذلك فى متحف إنجلاندر هاوس بالعاصمة فادوز والذى يتضمن بعض أهـم الأعمـال الفنية من القرن الـ ١٧ خاصة من المدرسـة الهولنديـة، وقد دعتنى الأميرة لمشاهدتها حين علمت باهتمامى بالفن التشكيلى.

وفـى اليوم التـالى للافتتاح بدأت مباريات البريدج فى كازينـو دوفيل وقـد راعنى حجـم المـال المتـداول فى هـذه اللعبة والذى يزيد على مثيله فى بورصات بعض الدول الأخرى.

❑❑❑

الدكتور رشاد رشدى:
الجامعة أكبر من الصحافة!

كنــت أتصورها مهمة صعبة للغاية أن أذهب إلى الدكتور رشــاد رشــدى لأخبره بأننى ســوف أترك قســم اللغة الانجليزية وآدابها بآداب القاهرة وهو القســم الذى كان يرأســه الدكتور رشــاد بعد أن عرض على الأســتاذ محمد حسنين هيكل العمل بجريدة «الأهرام».. كان الدكتور رشاد أستاذى الذى تربطنى به أوثق العلاقات التى تربط بين التلميذ وأستاذه، فقد كان يؤمن بى وهو الذى اختارنى للتدريس بالكلية بعد تخرجى.

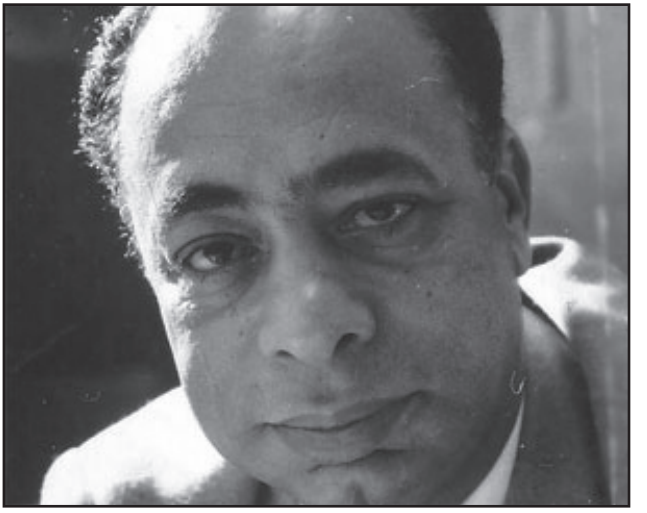

الدكتور رشاد رشدى

كان الدكتور رشاد رشدى أستاذا عظيما تخرج أكبر العاملين بالحقل الثقافى على يديه، وقد ربطتنى به منذ بداية التحاقى بالجامعة علاقة قوية استمرت بعد تخرجى وعملى معه ضمن هيئة التدريس بالكلية.

ورغم ولعى بالأدب الانجليزى وســعادتى بدراســته وتدريســه إلا أننى كنت أشعر فى أعماقى بالرغبة فى الالتحام بالواقع المعيشــى بشــكل أكبر والاهتمام بالقضايا المهمة التى

كانت تشـغل وجـدان الأمة والتى تتعدى تدريس الأدب الانجليـزى فى مجتمع أكثر من نصف أبنائه من الأميين الذين يفرض وجودهم قائمة أخرى لأولويات الاهتمام العام.

ولذلك فحين عرض على الأستاذ محمد حسنين هيكل فى أوائل عام ١٩٧١م العمل فى الأهرام شـاغلتنى الفكرة باعتبار أن الأهرام كان فى ذلك الوقت أحد أدوات تشـكيل ذلك الواقع الذى كنت أسعى للالتحام به، وقد أمضيت شهرا أجمع بين عملى بالجامعة والعمل بالأهـرام إلى أن وصلـت إلى قرارى بأن أترك الجامعة وأنتقـل للعمل بالأهرام، فذهبت إلى الدكتور رشاد رشدى أعرض عليه الأمر وأسأل رأيه فى قرارى هذا.

واسـتقبلنى الدكتور رشـاد بترحيبه المعتاد وأخذنى إلى شـرفة مسكنه المطل على النيل بالجيـزة، حيث كان يحلـو له أن يسـتقبل ضيوفه، وأخذت أقدم رجـلا وأؤخر أخرى وأنا أتلمس طريقى فى الحديث، فقد كنت فى واقع الأمر قد جئت لأخبره بأننى سـأترك الجامعة التى اختارنى للعمل معه بها قبل ثلاث سـنوات وأذهب إلى عمل آخر، ولم تكن المهمة سهلة.

وقد اسـتمع إلى الدكتور رشـاد دون مقاطعة، مبديا اهتمامه بما أقول إلى أن انتهيت، فتمنى لى التوفيق، قلت له: لكنى أريد رأيك فى هذا القرار.

قـال: أنت تعرف أن رأيى هو أن الجامعة أكـبر من الصحافة، ولقد عملت بالصحافة من موقعى فى الجامعة دون أن أتركها سواء بالكتابة فى الصحف السيارة أو برئاسة تحرير بعـض المجلات المتخصصة مثل «الآراب ريفيو» ومجلة «المسـرح» أو «الجديد»، لكن طالما تقول إنك خبرت العمل فى الأهرام لمدة شـهر الآن وإنك ارتحت له فهذا يعنى أن قرارك صحيح، على الأقل بالنسـبة لك، لذلك أتمنى لك التوفيق وأقول لك إن الجامعة سـتكون دائما مستعدة لاستقبالك فى أى وقت تقرر التدريس بها إلى جانب عملك.

وخشـية أن يؤثر الأسـتاذ على قرار تلميذه وجدت الدكتور رشاد يغير موضوع الحديث ويأخذنى ليفرجنى على بعض آخر مقتنياته، فقد كان يجمعنا حب اقتناء التحف القديمة، وكثـيرا ما كنا ننزل سـويا إلى شـارع هدى شـعراوى، حيث محلات الأنتيـكات وأذكر أنه أطلعنـى فـى ذلك اليوم على زهرية تركية قديمة مصنوعة من الخزف ظلت مرتبطة فى ذهنى بذلك اليوم، وبعد رحيل الدكتور رشاد عام ١٩٨٣م أهدتنى زوجته السيدة ثريا تلك الزهرية، التى مازلت معتزا بها لما تحمله لى من ذكرى خاصة.

ففى ذلك اليوم تعلمت كيف يكون علاقة الأستاذ بتلميذه، بحيث يقبل قراره ويتمنى له النجاح والتوفيق دون أن يفرض عليه وجهة نظره الشخصية، فقد كنت أعرف أن الدكتور رشاد لا يتفق مع قرارى لأن أستاذ الجامعة عنده أكبر من الصحفى، لكنه وجد فى حديثى حماسا للعمل بالصحافة فتمنى لى صادق التوفيق.

ومرت سنوات السبعينيات فباعدت بينى وبين الدكتور رشاد، حيث كان هو قد اقترب من الرئيس السادات، بينما كنت أنا على النقيض منه فكريا وسياسيا، ولكن ذلك لم يفصل بيننا فكنا كلما التقينا يكون اللقاء حميميا بين الأستاذ وتلميذه.

وأذكر أن الدكتور رشاد رشدى فى آخر لقاء لنا قبل رحيله بحوالى سنة تحدث معى طويلا فى أشياء كثيرة وحين عدنا إلى النقطة التى افترق فيها الطريق بيننا بقرارى الانتقال إلى الأهرام شرح لى الدكتور رشاد وجهة نظره فاعترف أنه لم يكن موافقا على الإطلاق على قرارى هذا، ثم قال: لكنه من وجهة نظرك كان قرارا سليما لذلك تركتك تتخذه دون أن يؤثر عليك رأيى الشخصى لأنى قد أعرف أن قرارك كان فى صالحك، فقد كنت رافضا الانعزال فى البرج العاجى الذى كان يطاردك بحكم نشأتك وتعليمك الأولى بكلية فكتوريا، ثم دراستك للأدب الانجليزى بالجامعة، لذلك وجدت أنك اتخذت القرار الصائب.

قلت: لكنك رفضت مناقشته وتركتنى طوال تلك السنوات أحس بأنك تعتقد أننى مخطئ، قال: لقد كان إحساسك فى محله، فلا أحد يترك الجامعة ليعمل صحفيا، ولو كنت ناقشتك لربما أقنعتك بالعدول عن قرارك ولم يكن ذلك فى صالحك، لذلك تمنيت لك التوفيق دون أن أناقشك.

وفى يوم ٢١ فبراير عام ١٩٨٣م رحل الدكتور رشاد رشدى عن عالمنا تاركا وراءه ذكرى عطرة لأستاذ عظيم، واليوم كلما نظرت إلى الزهرية التركى القديمة تذكرت ذلك الأستاذ وترحمت عليه، فالأستاذ الحقيقى ليس هو من يجعل من تلاميذه نسخا كربونية منه ومن أفكاره ويتخذون نفس قراراته، وإنما هو ذلك الذى ينظر إلى مصلحة تلميذه حتى لو كانت تلك المصلحة تتعارض مع آراء الأستاذ أو مواقفه.

❑❑❑

ديميس روسوس:
المختطفون احتفلوا بعيد ميلادى!

حين قابلت المطرب العالمى ديميس روسوس لأول مرة فى أوائل السبعينيات كنت أعرف أنه ولد فى الإسكندرية عام ١٩٤٦م لأبوين يونانيين، فقد كانت سيرة حياته متداولة فى كل الصحف والمجلات الدولية باعتباره المطرب المفضل للشباب والذى حقق أكبر النجاح بالأغنيات الخفيفة التى اشتهر بها، لكنى لم أكن أعرف أنه ابن راقصة السينما المصرية الشهيرة نيللى مظلوم.

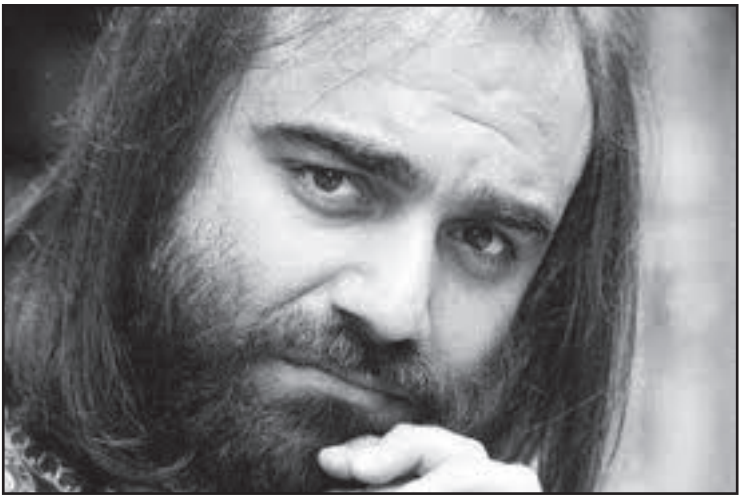

ديميس روسوس

قال لى ديميس روسوس: لقد نشأت فى بيت فنى وتعلمت العزف على الجيتار والغناء منذ طفولتى، فقد كانت والدتى على صلة بالوسط الفنى من خلال الأفلام العديدة التى ظهرت فيها، والتى قاربت الـ ٢٠ فيلمًا، كان أشهرها بالطبع فيلم (ابن حميدو) مع إسماعيل يس. وحين تركت مصر مع أسرتى عام ١٩٦٣م إلى اليونان كونت الفرقة الموسيقية Aphrodites Child التى كنت مطربها الرئيسى والتى صنعت نجاحى فى العالم أجمع، إلى أن انفصلت عن الفرقة وأصبحت أغنى بمفردى.

كانــت الأغنيــة الرائجة لديميس روســوس فى ذلــك الوقت هى أغنيــة Falling أى (إنى أسقط) من ألبومه الشهير «Far Away» وكان شقيقى الأصغر الموسيقى أشرف سلماوى الــذى يقيــم فى انجلترا منذ أكثر مــن ٣٠ عامًا هو الذى كتب موســيقى الأغنية وكلماتها للمطرب المصرى المولد، ذائع الصيت. وحين جاء روسوس للغناء فى مصر فى السبعينيات طلب منى أشرف أن ألتقى به، فدعوته على العشاء فى صحراء الأهرامات بالجيزة، حيث كانت للأسرة استراحة أزيلت بعد ذلك ضمن مشروع هضبة الأهرام الذى لم يتحقق.

كان ديميس روســوس مشهورًا بالبدانة المفرطة رغم صوته الرفيع ذى الطبقات الحادة، ولذلك كان من أكثر ما حرص على شــرائه من مصر مجموعة من الجلاليب الواســعة التى كان يهوى لبســها حتى فى حفلاته الغنائية والتى كانت تضفى عليه مســحة شرقية تزيد من جاذبيته على المسرح.

فى تلك الأمســية أعددنا لـ ديميس روســوس خروفًا مشــويًا على الطريقة البدوية فى الصحراء التهم لحمه بنهم شــديد، وســألنى الطاهى إن كان الضيف الكبير يحب اللســان حتــى يخرجه له، فســألت ديميس فســألنى بدوره: هل لســان الخــروف يؤكل؟ قلت: بالطبع، فما كان منه إلا أن انتزع اللسان من فم الخروف المشوى وأكله وسط ذهول الطاهى الذى قال لى: كان عليه أن ينتظر أن أقشره له، لكن السيف كان قد سبق العزل.

لكــن الأيام دارت وبدأت البدانة تثقل على النجم الشــاب، ونصحــه الأطباء بضرورة إنقــاص وزنه فبدأ صراعه النفســى للتخلص من العلامة المميــزة التى كانت تعطى صورته طابعها الشخصى، وقد أثر ذلك على مبيعات أسطواناته فأصيب باكتئاب نفسى، وفى عام ١٩٨٢م أصدر روســوس كتابا بعنوان A Question of Weight أى (مســألة وزن) روى فيــه قصتــه مع البدانة التى هزمته فعاد مرة أخــرى لوزنه الثقيل، وعاد مع الوزن النجاح الفنى الذى كان قد توقف لفترة.

ولقد قابلت ديميس روسوس مرة ثانية فى اليونان حيث يعيش ستة أشهر من السنة ويعيش الســتة الأخرى متنقلاً بين مختلف دول العالم لتقديم حفلاته الموســيقية، كان ذلك فى عام ١٩٨٥م وكان اسمه يتردد فى كل أجهزة الإعلام الدولية ليس بسبب أغنية جديــدة قدمها، وإنما لأنه كان ضمن ركاب طائرة TWA الأمريكية التى اختطفت يوم ١٤ يونيو من ذلك العام، وهو يوم عيد ميلاده، وقد حدثنى ديميس روســوس طويلاً عن المختطفين الذين قال إنهم كانوا فرحين به جدًا، وكان قد أخبرهم أنه فى طريقه لقضاء

عيـد ميلاده مع أسـرته فى اليونان فأقامـوا له احتفالاً بعيد ميـلاده على متن الطائرة المختطفة مع بقية المحتجزين.

وقال ديميس روسـوس: لقد أثرت فى جدًا هذه التجربة لأنها تراوحت بشـدة ما بين الشـىء ونقيضه.. ما بين الفرح والفزع، وما بين التعامل الإنسـانى والموقف القاسـى، وقد أحسسـت بعدها أننى قد كتب لى عمر جديد فأصدرت ألبومًا جديدًا بعد فترة غياب اسمه Time، أى (الزمن) وسأطرحه فى الأسواق قريبًا، وأشعر أنه لولا تلك التجربة التى هزتنى لما كان قد صدر هذا الألبوم. وبالفعل حقق هذا الألبوم نجاحًا كبيرًا عند طرحه فى الأسواق، واعتبر عودة ديميس روسوس إلى عالم الغناء.

وسـألت ديميس روسـوس: كم أغنية أصدرت حتى الآن؟ فقـال: أكثر من ٤٠ مليون اسـطوانة تضمنت كل الأغانى التى أصدرتها، وقد حصلت أيضًا على جوائز الأسـطوانات الذهبية والبلاتينية والماسية والتى تمنح لمن تبيع أسطوانته بالملايين.

قلـت: لقـد قدمت حفلاتك فى كثير مـن دول العالم.. فما هى أكثر دولة تشـعر فيها بحرارة الجمهور؟ قال: من حيث عدد المرات التى زرتها هى: ألمانيا فقد غنيت فيها كثيرًا وكان الجمهور دائمًا مرحبًا وبوعى، أما مصر فليس هناك مثل جمهورها الذى يعرف كيف يكرم الضيف، لكنى للأسف لم أغن فيها إلا مرة واحدة.

قلـت له: لقد قلت لى منذ سـنوات أثناء لقائنا فى مصـر إنك لو لم تكن مطربًا لوددت أن تكـون طاهيًا، والآن وبعد صراعك المعروف مـع البدانة.. هل ما زلت عند رأيك؟ قال: أكثر من أى وقت مضى.

❑❑❑

جون بادو:
كيندى كان يحترم عبد الناصر

قــال لى عميد الســفراء الأمريكيين فى القاهرة جون بادو إن الرئيس كيندى اســتدعاه بمجرد نجاحه فى انتخابات الرئاســة عام ١٩٦١م وقال له إن هناك ثلاث دول مهمة فى العالــم يريــد أن يبدأ صفحة جديدة فى علاقته بها، وهى مصر واليابان والهند، وإنه يريد أن يكون على علاقة مباشرة مع الرئيس المصرى جمال عبد الناصر بعيدا عن ضغوط الدوائر اليهودية فى أمريكا.

ربمــا كان جون بادو أفضل الســفراء الأمريكييــن الذين عرفتهم القاهــرة نظرا لخبرته الطويلــة بالوطن العربى ولكونه أســتاذا أكاديميا وليس دبلوماســيا محترفا يضطره موقعه أن يعبر عن السياســة الأمريكية التقليدية تجاه الشــرق الأوســط، وقد كان هذا هو السبب الــذى جعل الرئيس الأمريكى جون كيندى يختاره ســفيرا فى القاهرة بمجرد نجاحه فى انتخابات الرئاسة عام ١٩٦١م.

وقد زار بادو العالم العربى لأول مرة عام ١٩٢٨م حين ذهب إلى العراق حيث أقام لمدة ســبع ســنوات. ثم فى عام ١٩٣٦م جاء بادو إلى القاهرة أستاذا للفلسفة والدين بالجامعة الأمريكيــة، وفى عام ١٩٤٥م عين رئيســا للجامعة إلى أن قامــت ثورة يوليو عام ١٩٥٢م فغادرها فى العام التالى إلى الولايات المتحدة ليتولى رئاسة مؤسسة الشرق الأوسط.

ولقــد قابلت جون بادو فى الولايات المتحدة فــى منتصف الثمانينيات وكان قد أصدر كتابا جميلا ضمن ذكرياته عن الشرق الأوسط وسنوات عمله فى القاهرة وكان يحمل عنوان The Middle East Remembered وقد أهدانى نســخة مــن كتابه عليها إهداء رقيق وجلســنا جلسة ممتدة روى لى خلالها الرجل العجوز أن الرئيس جون كنيدى قد استدعاه بمجــرد توليه الرئاســة عام ١٩٦١م وقال له إنه يريد أن يبــدأ صفحة جديدة فى علاقاته بمصر والهند واليابان، وإنه اختار لهذه الدول ســفراء جددًا من خارج الســلك الدبلوماسى حتى لا يكونوا مرتبطين بالتاريخ السابق للعلاقات الأمريكية بهذه الدول.

وقلت لبادو: أنت تعتبر عميد السفراء الأمريكيين فى القاهرة، ولك خبرة كبيرة بشئون الشرق الأوسط، فهل تعتقد فى إمكانية وجود علاقات طيبة بين الولايات المتحدة والدول العربية بالرغم من العلاقات الخاصة التى تربط الولايات المتحدة بإسرائيل؟

فقال: أنا أعلم أن هذه العلاقة فى بعض الأحيان دفعت الولايات المتحدة لاتخاذ مواقف غير موضوعية فى الشرق الأوسط، لكن ذلك شىء متغير من عهد إلى آخر وحرص الولايات المتحدة على بقاء إسرائيل لا يعنى مثلا تأييد احتلالها للأراضى العربية ولا عدم الدفاع عن حق الفلسطينيين فى إقامة دولتهم، ولقد كنت شاهدا بنفسى فى بداية الستينيات على علاقة صحية كانت مازالت وليدة فى ذلك الوقت بين كل من الرئيسين المصرى والأمريكى، لقد كان الرئيس كيندى يكن احتراما كبيرا للرئيس عبد الناصر ولأول مرة فى تاريخ العلاقات بين البلدين وضع كيندى قاعدة ثابتة بألا يقدم على أى خطوة مهمة فى الشرق الأوسط دون أن يطلع الرئيس عبد الناصر عليها مسبقا.

ويقول بادو: لقد التزم كيندى بهذا المبدأ حتى فى القرارات المتعلقة بإسرائيل ثم يسرد فى هذا السياق واقعة محددة كمثال، وهى صفقة الصواريخ الأمريكية من طراز (هوك) التى باعتها الولايات المتحدة لإسرائيل عام ١٩٦٢م، فيقول إنه بعد مرور عام على تولى كيندى الرئاسة حلت انتخابات الكونجرس ووجدت الإدارة الأمريكية نفسها واقعة تحت ضغوط يهودية هائلة لإتمام تلك الصفقة حتى إن أموال الحملة الانتخابية كان قد تم تجميدها إلى أن يحدد الرئيس كيندى موقفه من الصفقة.

وتزداد تجاعيد وجه بادو عمقا وهو يتذكر ملابسات موضوع الصواريخ وحجم الضغوط التى مورست على إدارة الرئيس كيندى، ثم يقول: لقد كان هذا الموضوع يسبب استياءً شديدا للرئيس كيندى، وقد أعرب الرئيس عن استيائه هذا فى أكثر من مناسبة ولم يخفه، وقد أمكن توصيف الهدف من هذه الصواريخ على أنه لأغراض دفاعية بحتة باعتبار أن صواريخ (هوك) صواريخ أرضية ستعمل على حماية الأجواء الإسرائيلية من أى هجوم خارجى، لكن موافقة الإدارة الأمريكية عليها كان – على حد قول بادو – لأسباب سياسية بحتة.

ثم يقول بادو: لقد كانت هناك توجيهات واضحة من الرئيس كيندى بضرورة إبلاغ عبد الناصر بالموضوع قبل الإعلان عن الصفقة، ولحساسية الموضوع الذى كان كيندى

يعلـم أنه سـيغضب الرئيس المصرى، فقـد قرر كيندى ألا يكتفى بإبـلاغ عبد الناصر عن طريق السـفير الأمريكى وإنما أرسـل إليه مبعوثا خاصا من واشنطن حاملا رسالة شخصية مـن كيندى، فقد كان كيندى حريصا علـى العلاقات الجديدة التى أقامها مع عبد الناصر وعلى استمرارها.

ويتذكر بادو زيارة مبعوث كيندى الخاص للرئيس المصرى والذى صحبه فيها، فيقول إن عبد الناصـر أبدى تقديره لقرار الرئيس الأمريكى بإطلاعه على تفاصيل الصفقة لكنه أكد بكل وضوح معارضتـه الكاملـة هذه الصفقة وقال إنه سـيهاجمها بكل قوة، وبالفعـل فقد امتلأت الصحف المصريـة فى الأيـام التالية للإعلان عن صفقة الصواريخ بالهجوم علـى قرار الولايات المتحدة. وأقول لبادو: لكن أسلوب الدبلوماسية الشخصية Personal Diplomacy الذى اتبعه كيندى مع عبد الناصر لم يغير فى المثال الذى ذكرته من السياسة الأمريكية فى شىء.

قال: إن هناك أمثلة أخرى تغير فيها القرار ففى ذلك العام نفسـه مثلا وقع الانفصال بين مصر وسـوريا وكان الرأى الغالب فى واشـنطن يميل إلى ضرورة استغلال ذلك الوضع سياسـيا ضد عبد الناصر والمسارعة فى الاعتراف بالحكومة الانفصالية فى سوريا، وكانت الدوائر الموالية لإسرائيل تقود هذا الاتجاه مع وكالة المخابرات المركزية (سى. آى. إيه) لكن قرار كيندى كان عكس ذلك، فقد انتظرت واشنطن إلى أن اعترفت بقية الدول بالنظام الجديد حتى لا يكون لاعترافها تأثير سلبى على النظام المصرى.

وتلمـع عينـا بادو وهو يتذكر ذلـك العصر ويقول: دعنى أقول لـك إن حرص الرئيس كيندى على إطلاع عبد الناصر على القرارات المهمة للإدارة الأمريكية امتد بعد ذلك فشمل السياسـات غير المتعلقة بالشرق الأوسط، مثل التجارب النووية والتى حرص كيندى على إخطار عبد الناصر بأنه سيستأنفها قبل أن يفعل ذلك بـ ٤٨ ساعة.

❑❑❑

دومنيك بوديس:
حملة بونابرت لم تكن كلها تنويرية!

دومنيك بوديس هو رئيس معهد العالم العربى فى باريس، وهو عمدة مدينة تولوز السابق ورئيس هيئة الإذاعة والتليفزيون الفرنسى، وهو أيضا صحفى مقتدر عمل مراسلا للتليفزيون الفرنسى فى لبنان أثناء الحرب الأهلية والتى أصابت إحدى شظاياها دومنيك بوديس، حيث جرح أثناء تغطية أحداثها.. لكن بوديس هو أيضا كاتب روائى برع فى كتابة الرواية التاريخية بشكل خاص.

ولقد عرفت دومنيك بوديس ٦٠ عاما كاتبا روائيا قبل أن أعرفه بصفاته الأخرى، فقد كانت روايته الشهيرة «المؤامرة» Le Conjuration تتصدر واجهات المكتبات أثناء إحدى زياراتى لفرنسا بعد أن فازت بجائزة «روليه» للرواية عام ٢٠٠١م وأذكر أننى التهمت الرواية خلال ثلاثة أيام قضيتها فى العاصمة الفرنسية قبل أن أسافر إلى تولوز لحضور مؤتمر كنت مدعوا لحضوره.

وتدور أحداث الرواية فى القرون الوسطى ما بين فرنسا ومدينة القدس وتصور مرحلة انحلال المملكة التى أقامتها الحروب الصليبية فى القدس بعد أن اعتلى عرشها الملك الصبى بودوان ذو الـ ١٤ عاما والمريض بالجذام، كما تصور على الجانب الآخر تصاعد نجم القائد صلاح الدين الأيوبى ونجاحه فى النهاية فى تحرير بيت المقدس.

وتعتمد الرواية – رغم صدقها التاريخى – على خيال روائى خلاب وأسلوب سردى مشوق جعلنى أتابع الإنتاج الأدبى لدومنيك بوديس، وأسعدنى كثيرا أن تلقيت منه حين تعرفت إليه بعد ذلك إهداء رقيقا أعتز به على رواية أخرى هى من أفضل كتاباته وهى رواية «يجب قتل شاتوبريان!» والتى رغم أنها تحمل اسم الأديب الكبير فرانسوا رينيه دى شاتوبريان أبو الرومانسية فى الأدب الفرنسى فإن أحداثها تجرى فى مصر وبطلها هو محمد على.

وحين قام الرئيس الفرنسى السابق جاك شيراك بتعيين دومنيك بوديس رئيسا لمعهد العالم العربى كنت قد عرفته عمدة لمدينة تولوز، فقمت بزيارته لتهنئته وتهنئة المعهد

بــه متوقعا أن تكون رئاســته بداية لمرحلة جديدة فــى تاريخ هذا المعهد الفريد من نوعه فى أوربا.

تم إنشــاء معهد العالم العربى فى باريس بمبادرة من الرئيس الفرنســى الأســبق فرانسوا ميتران الذى منح المعهد الأرض المقام عليها هدية من فرنسا، ويقوم الرئيس الفرنسى شخصيا بتسمية رئيس المعهد، أما مديره فيكون شخصية عربية يتفق عليها سفراء الدول العربية فى باريس وفق تعليمات حكوماتهم، والهدف من المعهد هو التقريب بين فرنسا والعالم العربى علــى المســتويين الثقافى والفكرى، وهو يكتســب أهمية خاصة فــى الوقت الراهن، حيث تتعرض صورة العرب والمسلمين لكثير من التشوهات وعدم الفهم الصحيح.

ويأتى دومنيك بوديس إلى معهد العالم العربى خلفا لثلاثة رؤساء كان أولهم إدجار بتيزانى الصديق المقرب لميتران والذى خلفه كاميل كابانا ثم إيف جينا. أما بوديس فهو أصغرهم سنا وأكثرهم نشاطا، وقد أسهمت سنوات عمله فى لبنان فى معرفة أهمية الشرق الأوسط والدول العربية، وهو متزوج من إيزابيل صياح الكاتبة الجزائرية الأصل والتى كتبت أحد أهم الكتب التى صدرت فى فرنسا عن أم كلثوم وعنوانه «أم كلثوم.. كوكب الشرق».

وقد جاء تعيين بوديس رئيســا لمعهد العالم العربى فى وقت كان يعانى فيه المعهد من عجز مالى كبير كان قد وصل إلى ما يزيد على ١٥ مليون يورو وكانت هناك دولتان عربيتان ممتنعتان تماما عن تســديد حصتهما وهما ليبيا التى فترت حماستها فى السنوات الأخيرة لأى عمــل جماعى عربــى واتجهت قيادتها صوب القارة الإفريقية، والعراق التى أصبحت غير قادرة على تســديد حصتها بعد الغزو الأمريكى، وتصل مساهمة الدولتين إلى ما يقرب من ثلث الميزانية الإجمالية للمعهد، ولقد ســاهمت وزارة الخارجية الفرنســية فى سد جزء مــن ذلك العجز حين رفعت مســاهمتها فى العام الماضى مــن ٦ ملايين إلى ٩ ملايين يورو ووافق مجلس إدارة المعهد على ســحب ٤,٥ مليون يورو من رأس مال المعهد لتسديد بعض المستحقات العاجلة.

ولقــد حدثنى بوديــس بالتفصيل عن هذا الوضع الذى لا يمكن اســتمراره وقال بالطبع أنا لا أســتطيع أن أقنع العراق بتســديد مديونياتها لأســباب خارجة عــن إرادتى، لكنى سأعوض ذلك بطرق أخرى.

وفــى زيارتى التالية لباريس لم يكن بوديس قد أكمل العام الأول لرئاســته لمعهد العالم العربى لكنه كان قد زار طرابلس وحصل خلال مقابلته للعقيد القذافى على المساهمة الليبية

المتأخرة فى ميزانية المعهد، كما حصل أثناء زيارة قام بها خادم الحرمين الشـريفين الملك عبد الله لباريس على مليون يورو إسهاما من السعودية فى تمويل أنشطة المعهد.

ولقد دعانى بوديس ذات مرة إلى حفل استقبال أقيم فى شرفة سطح مبنى المعهد المطلة على برج إيفل وكان منظر باريس أمامنا خلابا لكن أرضية الشرفة كانت مهدمة وبدا منظرها كئيبا بالمقارنة، ولمح بوديس نظرتى إلى أرضية الشـرفة فقال على الفور كل هذا سـيتغير.. سـنرفع هذه الأرضية القبيحة ونستبدلها بالفسيفساء الملونة ذات الطراز العربى، ثم أضاف وهو يبتسم والمعهد لن يدفع فى ذلك مليما!

وكان أحد أول المشـروعات التى بدأ بها بوديس رئاسـته والتى شـرفت بعضويتى فى اللجنة المصرية الفرنسية المشرفة عليه هو المعرض الفخم الذى يحمل اسم «بونابرت ومصر» والـذى طالب بوديس خـلال اجتماعات اللجنة أن يضاف لاسمـه العنوان الفرعى «ظلال وأضواء» كى يقدم الجانبين المظلم والمضيئ فى حملة نابليون بونابرت على مصر.

وقد أراد بوديس لهذا المعرض الذى سـيفتتح فى أكتوبر ٢٠٠٨م أن يتميز بموضوعيته، وهـو يقول رغم اعترافنا بالجانب التنويرى للقائـد بونابرت بمصر فإننا لا ينبغى ألا نغفل أن حملته لم تكن مكونة من العلماء وحدهم، إنما كان بها أيضا العسكر، وهؤلاء كان تأثيرهم على مصر مختلفا تماما عمن أصدروا كتاب «وصف مصر».

❑❑❑

جابرييل جارسيا ماركيز:
لـم أعــد قـادرا علـى الكتـابة!

أى اعتــراف خطيــر هذا حين يشــكو أحد كبار أدبــاء نوبل مــن أن معينه قد نضب وأنه أصبح غير قادر على الكتابة! هذا ما قاله لى جابرييل جارسيا ماركيز فى حديث عابر فى مناسبة اجتماعية لم يكن الغرض منها إجراء حديث صحفى، ولولا أننى وجدته يكرر هذه الشــكوى أخيرا فى أحاديث صحفية منشــورة لما جرأت على نشــر اعترافه لى بذلك لأول مرة منذ أكثر من عام مضى.

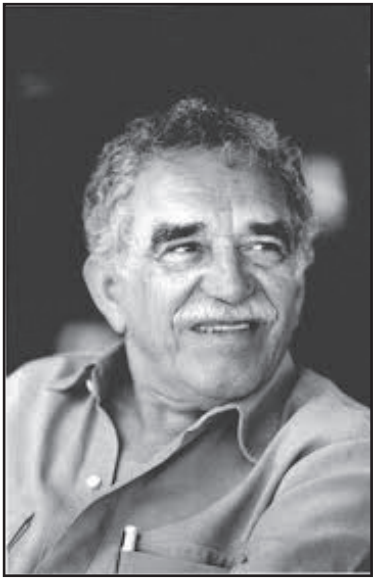

جابرييل جارسيا ماركيز:

فــى عام ٢٠٠٥م صدر كتــاب جديد لأديب نوبل الكبير جابرييل جارسيا ماركيز وهو (ذكريات مومساتى الحزينــات) وكان ماركيز فــى الولايات المتحدة فى ذلك الوقت وجمعتنا مناسبة اجتماعية فى بيت أحد الأصدقاء الذى داعــب ماركيز وهو يقدمنى له فقال: دعنى أقدم لك كاتبا مصريا تســلم مثلك جائزة نوبل، فســهم الكاتب الكبير قليلا، وقد لاحظ أننى لا أشبه نجيــب محفوظ ثم ابتســم وهو يقــول: إن صورك يا مســتر محفوظ تختلف كثيرا عن شكلك فى الطبيعة، ضحكنا جميعا وسارعت بتفسير دعابة مضيفنا قائلا: إننــى كنت الممثل الشــخصى لنجيــب محفوظ فى احتفالات تسليم الجائزة عام ١٩٨٨م.

وكان بصحبة ماركيز زوجته مرسيدس التى تزوجهــا منذ ٤٨ عامــا، وقد أخبرتنى أنهما لم يحضرا خصيصا إلى الولايات المتحدة من أجل صدور كتاب (جابو) الجديد فهكذا كانت تنادى زوجها جابرييل، ذلك أنهما يتنقلان خلال العام ما بين منازلهما الثلاثة الواقعة فى بلدهما الأصلى كولومبيا، وفى المكسيك وفى لــوس أنجلوس بالولايات المتحدة، وهنا تدخل (جابو) ليقول: إننى لم أعد أحب الســفر

كثيرا كما كنت فى الماضى، لذلك فنحن حين نحل ببلد عادة ما نبقى بها شهرين أو ثلاثة على الأقل، ولولا صدور الطبعة الإنجليزية لكتاب (المومسات) (هكذا أسماه) أثناء وجودى هنا لما كنت قد حضرت هذا الإصدار ولا كان صديقنا المشترك قد أقام لى هذا العشاء.

كان ماركيز فى ذلك الوقت فى الـ ٧٧ من عمره لكنه كان مليئا بالنشاط والحيوية، وقد بدت زوجته مرسيدس فى حوالى الـ ٧٠ وهى سيدة بشوشة تميل إلى البدانة وتتحدث كثيرا عن ابنيهما رودريجو الأكبر وجونزالو الأصغر، أما رودريجو فهو فنان جرافيك، بينما جوانزالو يعمل بالسينما ويقيم بالولايات المتحدة، وقد أخرج عدة أفلام لفتت الأنظار، وقد أكد ماركيز أن رودريجو ورث حب الفن السابع منه شخصيا، حيث كتب ماركيزكثيرا عن السينما فى شبابه، خاصة السينما الإيطالى وذلك أثناء السنتين التى أمضاهما فى روما، واليوم فإن لديه قاعة سينما فى منزله فى كولومبيا بها آلة عرض ٣٥ مللى فى صالة تقع أسفل المنزل وتشبه قاعات السينما التى فى المدينة وقد اصطفت بها المقاعد وراء بعضها البعض.

ثم قال ماركيز: لقد كتبت أيضا عددا كبيرا من السيناريوهات السينمائية تماما مثل نجيب محفوظ، ثم ضحك وهو يقول: لكنى تفوقت عليه فى أننى مثلت أيضا للسينما، فأضافت زوجته: لقد مثل فى فيلمين مأخوذين من أعماله الروائية.

قلت: إن الكثير من رجال الأدب كان لهم تجربة فى التمثيل خاصة رجال المسرح مثل شكسبير نفسه الذى بدأ حياته ممثلا ثم تحول إلى الكتابة المسرحية، وقلت لماركيز: إن كاتبنا المسرحى الأكبر فى الوطن العربى هو توفيق الحكيم، قد حدثنى ذات مرة أنه كان فى شبابه يعايش أجواء المسرح فى شارع عماد الدين فيدخل إلى كواليس المسرح ويقيم علاقات صداقة مع الممثلين والفنيين وكأنه ممثل مسرحى وتلك خبرة مهمة بالنسبة للكاتب المسرحى لا يمكن أن يكتسبها من لا يعرف المسرح إلا من خلال النص الأدبى.

قال ماركيز: هذا صحيح، وماذا عنك أنت كيف تعلمت المسرح من الكتاب الأدبى أم من الكواليس المسرحية؟

قلت: من الاثنين معا، فقد درست الأدب المسرحى بالجامعة كما أننى خلال فترة الدراسة كنت عضوا فى فريق التمثيل بالجامعة ومثلت بالتليفزيون، كما ظهرت فى دور صغير بأحد الأفلام السينمائية أيضا فقال ماركيز: إن رجال السياسة أيضا يمثلون فى

السـينما، خاصة فى أمريـكا، أو أن الممثلين أصبحوا يتجهون إلى السياسـة مثل أرنولد شوارتزنجر والأمريكان لديهم رئيس جمهورية ظهر فى السينما.

قلت: ليس فقط فى أمريكا، ففى أحد الأفلام الروائية المصرية التى كانت تحكى قصة حرب أكتوبر ظهر قائد الطيران حسـنى مبارك فى دوره فى الحياة، وقد أذيع هذا الفيلم عدة مرات فى التليفزيون.

فقال ماركيز: إن رجال السياسة لم يتركوا لنا شيئا!

قلت: وهل أحببت التمثيل؟

قـال: لا بـأس بالتمثيل لولا إعادة تصوير المشـاهد عدة مرات، لكن من حق كل فنان أن يسعى إلى الكمال، ولأنى أعيد كتابة أعمالى عدة مرات فلم أجرؤ على الاعتراض على إعادة تمثيل المشاهد أكثر من مرة.

قلت: كم مرة تعيد كتابة أعمالك؟

قـال: فى بعض الأحيان عشـر مرات وفى أحيان أخـرى لا أجدنى فى حاجة لإعادة كتابتها على الإطلاق.

قلت: وماذا تكتب الآن؟

ألقيت بسـؤالى هذا بشـكل عابر دون أن أعرف أننى أمس منطقة حساسـة لم يكن لى أن أتطرق إليها.

سكت ماركيز برهة وكانت زوجته وبعض من كانوا حولنا قد ابتعدوا قليلا واختفت النظرة المرحة التى كانت ترتسم على وجهه طول السهرة ثم قال لى: إننى لا أكتب شيئا.

ثـم واصل حديثه وكأنه يريد أن يشـكوا همه لأحد: لقـد مضى على الآن ما يزيد على نصف العام، وأنا لا أجد ما أكتبه، إننى أجلس كل يوم إلى مكتبى وفى يدى القلم، لكنى لا أكتب شيئا، إلى متى سيستمر هذا؟.. لست أعرف.

وشعرت بمحنة الأديب الأكبر الذى فاز بجائزة نوبل عام ١٩٨٢م حين يشعر أن معينه ونبع حياته قد نضب.

قلت بسـرعة: هل تعلم أن نجيب محفوظ توقف عن الكتابة لمدة ما يقرب من سـت سنوات بعد أن فرغ من كتابة (الثلاثية)؟.. لقد تصور وقتها أنه لن يكتب ثانية ولهذا اتجه إلى السينما، لكنه فجأة عاد يكتب من جديد وبغزارة أكثر من ذى قبل.

وأخذنى ماركيز بعيدا وكأنه يريد أن يسمع المزيد ويقول المزيد أيضا وما أن جلسنا على مقعدين متقابلين حتى قال لى: إننى أجلس بالساعات أمام الورقة عسى أن تأتينى فكرة أو جملة أو كلمة، لكن لا شىء يأتى وأكثر ما يضايقنى فى حياتى هو مشهد الورقة البيضاء بعد ساعات من محاولة ملئها، إننى لم أقصر فى عملى، لكن هناك طريقا مسدودا لا أدرى إن كنت سأتمكن من اجتيازه.

قلت: لابد أنه مرت عليك من قبل بعض الأوقات لم تكن تجد فيها ما تكتبه.

قال: أبدا منذ بدأت أكتب لم أتوقف أبدا عن الكتابة منذ أصدرت كتابى الأول (مائة عام من العزلة) كان لدى دائما ما أريد أن أقوله وما أن أنتهى من قوله حتى كان يجيئنى عمل آخر، وهكذا لكن هذا الشعور بالعقم الأدبى جديد تماما على.

وبدا لى الأديب الكبير وكأنه كاتب مبتدئ، ما أن صادفته فترة توقف حتى اعتراه القلق، وربما كان معه حق، ربما كان فريدا بين جميع الكتاب فى أنه لم يعرف مرحلة التوقف هذه ولا مرة خلال حياته الأدبية التى امتدت الآن لأكثر من أربعين عاما، والتى كنت واثقا أنه سيتخطاها، لكنى قرأت أخيرا فى عدة أحاديث له أنه مازال غير قادر على الكتابة وقد مضى على اعترافه لى لأول مرة، بهذه الحقيقة أكثر من سنة الآن فهل يعود ماركيز ثانية للكتابة، كما حدث مع نجيب محفوظ؟.

❑❑❑

كينيث كاوندا:
سأحرر زامبيا من جديد!

هنـاك من الزعماء الوطنيين من تصبح أسـماؤهم مرادفة لاسـم بلادهـم ذاته ومن بين هـؤلاء الزعيم الإفريقى الكبيـر كينيث كاوندا الذى قاد كفـاح زامبيا ضد الاحتلال وحقق لها الاسـتقلال عام ١٩٦٤م فكان أول رئيس لها حيث دامت رئاسـته ٢٧ عاما لكنى حين قابلته فى ربيع عام ١٩٩٩م لم يكن رئيسـا للجمهورية بل كان قد خرج لتوه من السـجن وجرت عدة محاولات لاغتياله ! !

كانـت تلـك هى المرة الأولى التـى يغادر فيها كينيث كاونـدا زامبيا بعد خروجه من السـجن كنا مشـاركين فى مؤتمر أقيم فى سـيول عاصمة كوريا الجنوبية ودعانى الزعيم الإفريقـى إلى غرفته بالفندق الذى نزل فيـه حيث بدأ حديثه معى عن جمال عبد الناصر فقال: إن أى زعيم وطنى عرفته إفريقيا فى عصر التحرر فى فترة الستينيات مدين لجمال عبـد الناصـر الذى كان هو القائد الملهم لنا جميعا والذى أنـار لنا الطريق للتحرر الوطنى والاستقلال.

قلت: لقد تغيرت الأوضاع الآن كثيرا فصار هؤلاء الزعماء يتهمون بالخيانة العظمى فإذا كانوا قد رحلوا عن عالمنا فإنه يتم اغتيال ذكراهم وإذا كانوا على قيد الحياة فإنهم يودعون السجون مثلما حدث معك.

قـال: إنـى أحمد الله أن جمال عبد الناصر قد رحل قبـل أن يرى ذلك وإلا لكان تألم كثيـرًا على ما آلت إليه الأحوال فى قارتـه الإفريقية. لقد قاد عبد الناصر جهودنا جميعا لرفع اسم إفريقيا عاليا لكن الأوضاع تغيرت كما قلت.

قلت: إنها لمسـافة شاسـعة بيـن مقعد الرئاسـة والجلوس داخل زنزانـة واحدة مع ١٩ معتقلا آخر فكيف قطعتها؟

قال ضاحكا: مشيا على الأقدام فالقصة تبدأ عام ١٩٩١م حين قررنا إنهاء نظام الحزب الواحد وغيرنا الدستور وأجرينا انتخابات جديدة قبل موعدها بسنتين تركنا بعدها السلطة لمـن فازوا فى تلك الانتخابات وعدنا للعمل السياسـى خارج السـلطة، وحين حل موعد

الانتخابات التالية عام ١٩٩٦م واتضح أن حزبنا سيحقق نجاحا كبيرا أصدر النظام الحاكم قانونا جديدا يمنعنى من تولى الرئاسة فقاطعنا الانتخابات وعندئذ بدأت السلطات تتعقبنا فإذا كان لدينا مؤتمر سياسى قامت بهدم السرادقات التى سينعقد فيها وإطلاق القنابل المسيلة للدموع على الجماهير وفى إحدى هذه المرات أطلق علينا الرصاص وأصبت فى رأسى وأصيب أيضا بعض أعوانى.

قلت: لم تكن تلك هى المرة الأولى التى تعرضت فيها للاغتيال فقد تعرضت لأربع محاولات حتى الآن، كيف ذلك وأنت أبو الاستقلال فى زامبيا؟!

فرفع الزعيم الإفريقى يديه إلى السماء وبإحداها المنديل الأبيض الذى اشتهر به وقال Poor Africa أى مسكينة يا إفريقيا! لقد سمعنا فى مخلوقات الله عن الأم التى تأكل أولادها لكننا لم نسمع أبدا عن أطفال يأكلون أباهم!

ولم أستطع أن أكبت سؤالا ألح علىّ منذ بداية لقائنا فقلت: منذ متى وأنت تحمل هذا المنديل الأبيض؟

قال: منذ زمن بعيد فهو بالنسبة لى رمز للسلام وحين ألوح به للناس فكأنى أقول لهم (السلام عليكم) لكنه للأسف لم يعد أبيض كما كان لقد لطخته بقع الدم الذى نزفته البلاد فى السنوات الأخيرة.

قلت: لقد خرجت لتوك من سجن جديد وسمعنا أنك أضربت عن الطعام وكنت على شفا الموت.

قال: هذا صحيح لقد أضربت عن الطعام والشراب أيضا لأننى اعتقلت دون أن توجه إلىّ أية تهمة وقد طلبت معرفة تهمتى دون جدوى وقد حاولوا حقنى فى السجن بمادة قالوا إنها للتغذية لكنى رفضتها لأنها كانت هناك محاولة سابقة لاغتيالى كانت ستتم عن طريق حقنى بمادة خاصة تؤدى لإصابتى بسكتة قلبية خلال ستة أشهر فنقلونى من الزنزانة التى كان يشاركنى فيها ١٩ معتقلا آخر إلى زنزانة خاصة وسمحوا لزوجتى بزيارتى لأول مرة فتفهمت موقفى وأقرتنى على الإضراب عن الطعام لكنها طلبت منى فقط ألا أمتنع عن الشراب خوفا على حياتى ثم فوجئت بعد ثلاثة أيام بزيارة فى سجنى من صديقى العزيز الرئيس التنزانى جوليوس نيريرى الذى قال لى إن عددا كبيرا من الرؤساء الأفارقة أرسلوا احتجاجات شديدة اللهجة لحكومة زامبيا يطالبونها إما بتقديمى للمحاكمة وإما بالإفراج

عنى وأكد لى نيريرى أنه سيفرج عنى خلال أيام لكنه ظل يرجونى أن أنهى إضرابى عن الطعام خوفا على حياتى. وبعد مناقشة طويلة امتثلت لطلب رئيس تنزانيا فطلب لى على الفور البسكويت والجبن وجلس يأكل معى.

وسرعان ما خضعت الحكومة لطلبات الرؤساء الأفارقة وأفرجت عنى فعدت إلى بيتى لأجده قد تحول إلى سجن كبير حددت فيه إقامتى وبعد بضعة أيام وجهت إلىّ تهمة الخيانة العظمى ومحاولة قلب نظام الحكم وأنا لست فى حاجة للتآمر فإذا أردت أن أصل إلى الحكم فما على إلا أن أرشح نفسى والناس هى التى ستأتى بى للحكم.

كانت صورة كاوندا الشاب التى طالعتنا فى صوره فى فترة الخمسينيات والستينيات وهو يأتى لزيارة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد ولت وصار صاحبها فى الـ ٧٥ من عمره كان ذلك فى عام ١٩٩٩م أى أنه الآن فى الـ ٨٢ من عمره وقد بدت على قسمات وجهه علامات الأسى وهو يقول: لقد خرجت من سجنى لأجد ابنى قد توفى بمرض (الإيدز) وأنا لم أخف ذلك بل بدأت حملة قومية لمكافحة هذا الوباء ولتوعية الناس بأخطاره وبطرق الوقاية منه وقد كان لإعلانى عن سبب وفاة ابنى أكبر الأثر فى مقاومة انتشار (الإيدز) فى زامبيا لكن إلى جانب أحزانى الشخصية هناك الحزن العام الذى يقض مضجعى فبلادى الآن فى أزمة والناس تموت جوعا وهو ما لم يكن متصورا فى زامبيا التى كانت تصدر منتجاتها الزراعية والتى أصبحت الآن تستورد الجزر والخس واللبن والبيض وتزايدت فيها معدلات البطالة. لذلك لم يكن من الممكن أن أقول لقد تركت الرئاسة وليحدث ما يحدث بل كان علىّ أن أتحرك لتحرير البلاد من ذلك الفساد الذى استنزف مواردها فى السنوات الأخيرة. إن أولادى يقولون لى إنهم سيقتلونك لكنى أقول إن الإنسان لا يملك حياته ولا مماته لكنه يملك أن يعيش بكرامة عن طريق أداء واجبه تجاه وطنه ولن يستطيع أحد أن يوقفنى عن أداء واجبى ما دمت أنا على قيد الحياة، وواجبى الآن هو محاربة الفساد وإحلال الديموقراطية والدفاع عن حقوق الشعب التى اغتصبت بالسرقة والاحتيال وذلك – على حد قول أحد أعوانى – هو التحرير الثانى لزامبيا ومثلما خضت معركة التحرير الأولى وانتصرت فيها للبلاد فسأنتصر لها أيضا فى المعركة الثانية.. ثم أضاف بالعربية: إن شاء الله!

❑❑❑

بريجيت باردو:
عليكم أن تحسنوا معاملة الحمير!

التقيت فى عام ١٩٩٤م فى فرنسا ببريجيت باردو، أشهر نجمات الإغراء فى تاريخ السينما الفرنسية، وكنا فى ذلك الوقت نستعد فى (الأهرام) لإصدار جديد باللغة الفرنسية هو (الأهرام إبدو) ففكرت فى دعوتها للقاهرة لتكون ضيفة شرف حفل الافتتاح الكبير الذى كنا على وشك إقامته بهذه المناسبة، لكنى لم أكن أعرف أن هناك مفاجأة فى انتظارى؛ ليس لرفضها القاطع الحضور إلى مصر، وإنما للسبب الذى ساقته لى لرفض الدعوة.

بريجيت باردو والرفق بالحيوان

قال لى صديقى الفرنسى الذى يعمل بوزارة الخارجية: إن الدعوة لزيارة مصر دعوة مغرية فى حد ذاتها ويصعب على أى فرنسى أن يرفضها! ثم عرفنا من زوج بريجيت باردو أنها لم تزر مصر قط، فشجعنى ذلك أن أدعوها باسم الأهرام لزيارة مصر وحضور حفل افتتاح (الأهرام إبدو) ولقد ضم صديقى الذى كان يعرف باردو معرفة شخصية، صوته إلى صوتى قائلا: إننا سعداء للغاية فى الخارجية الفرنسية أن تصدر عن (الأهرام) جريدة باللغة الفرنسية فهى ستخدم قاعدة عريضة من القراء فى الشرق الأوسط كله بالإضافة

للمهتمين بالشئون العربية فى فرنسا، لذلك فنحن مهتمون بتقديم كل ما نستطيعه من دعم لهذه الجريدة.

لكن بريجيت باردو تجاهلت الرجل ولم تعره أى اهتمام وكأن كلامه لا يهمها من قريب أو بعيد، ثم نظرت إلى وقالت: أشكركم أنكم فكرتم فى، أو أنكم لازلتم تذكروننى بعد كل هذه السنين، لكنى لن أزور مصر أبدا!

ونزل ردها على كالصاعقة، فهى لم تقل إن ظروفها لا تسمح، أو إنها ستفكر فى الأمر، وإنما كان ردها قاطعا وكأنها كانت قد اتخذت قرارا فى هذا الشأن ولم يكن هناك إمكانية لإعادة النظر فيه.

وقبل أن أسألها عن سبب هذا الرفض القاطع لزيارة مصر قالت بريجيت باردو: إن الطريقة التى تعاملون بها الحمير عندكم غير آدمية على الإطلاق! ثم سكتت وكأنها كانت تنتظر منى تعليقا، لكنى كنت قد أصابتنى صاعقة ثانية من السبب الذى ساقته فأحسست وكأن إنسانا قد تلقى صفعة مفاجئة على خده الأيمن وقبل أن يدرك ما حدث تلقى صفعة ثانية على خده الأيسر، فلم أتكلم.

فواصلت بريجيت باردو حديثها قائلة: إننى لا أفهم كيف يكون شعب صاحب حضارة عريقة كالحضارة المصرية ثم يعامل الحمير بهذه الطريقة الوحشية، إن درجة تحضر أى شعب من الشعوب تقاس فى رأيى بطريقة معاملته للحيوانات، فالحيوانات مخلوقات حية، وهى لا تستطيع أن تشكو لأحد، والإنسان يستخدمها، بل يستغلها أسوأ استغلال!

وبدأت أفيق من الصدمة لأجد السيدة جادة تماما فيما تقول، وكانت تعبيرات وجهها وهى تتحدث إلى تؤكد أن تلك أهم قضية فى الوجود فوجدت من الذوق أن أواصل معها الحديث فى هذا الموضوع، فقلت: إن قسوة الإنسان على الحيوان على مدى التاريخ لا يمكن إنكارها، وإنه لنبل منك أن تولى اهتمامك لهذه القضية، لكن ما قولك فى الإنسان الذى يعامل أخيه الإنسان بأسوأ مما يعامل الحيوان؟

وبدا لى وكأنها هى التى دهشت هذه المرة من إثارتى لقضية لم تكن تتوقعها، فواصلت حديثى قائلا: إن هناك فى عالمنا هذا من يعاملون شعوبا وأجناسا بأكملها وكأنها أدنى من الحيوانات.

قالت: ماذا تقصد؟

قلت: الأمثلة كثيرة، فهناك مثلا ما تعرض له الإنسان الأسود فى جنوب أفريقيا من تفرقة عنصرية، أو فى الولايات المتحدة، حيث كان السود يقتلون وتنتهك آدميتهم دون محاكمة أو حساب، واليوم فإن ما يتعرض له الشعب الفلسطينى على يد قوات الاحتلال الإسرائيلية لا يمكن أن يقبله أى ضمير إنسانى.

قالت: إنكم تقاطعون إسرائيل لذلك، إذن فمن حقى أنا أيضا أن أقاطعكم.

قلت: إنك بذلك تساوين يا سيدتى بين معاملة الإنسان ومعاملة الحيوان وكأنه لا فرق لديك بين هذا وذاك.

قالت على الفور: هذا صحيح أنا لا أجد فرقا، فالمخلوقات كلها لها روح وتشعر بالألم، الفرق أن بعضها يستطيع أن يدافع عن نفسه والبعض الآخر لا يستطيع، والإنسان يستغل تلك المخلوقات التى لا تستطيع أن تدافع عن نفسها وهذه خسة غير مقبولة.

قلت: أتتحدثين يا سيدتى عن الفلسطينيين؟

قالت: بل عن الحمير.

قلت: ولماذا لا تتحدثين عن الفلسطينيين أيضا؟

قالت: تلك قضية سياسية وأنا لا علاقة لى بالسياسة، إننى أتحدث فى قضية إنسانية بحتة.

وأردت أن أتحدث معها عن الجانب الإنسانى فى القضية الفلسطينية، لكنى تسائلت بينى وبين نفسى عن جدوى ذلك وفضلت أن أنهى المقابلة، لكنها لاحقتنى بموضوع آخر.

فقالت: قل لى، هل ما يحدث للخراف فى عيد الأضحى إنسانى؟ أنا لا أتحدث عن ذبحها، ولكن عن الطريقة الوحشية التى يتم بها الذبح. إن الأحياء الإسلامية عندنا فى فرنسا تتحول إلى مجازر فى العيد الأضحى، وتجرى الدماء فى الشوارع، فما هذا؟

قلت: أنا لا أعرف ما يحدث عندكم فى الأحياء الإسلامية لكن ما أعرفه أن فكرة الأضحية ليست خاصة بالدين الإسلامى وحده، كما أن ذبح الحيوانات للأكل يحدث فى جميع أنحاء العالم، ويعتقد أن أكبر نسبة من آكلى اللحوم فى أوربا وأقل نسبة من النباتيين هى فى فرنسا، كما أعلم أن النبى محمد قد أوصى من سيقوم بذبح الشاة أن يكون رحيما وأن يحرص على ألا ترى الشاه السكين التى ستذبح بها.

فقالت باردو: ليس هذا ما نراه عندنا على أى حال. والحقيقة أن نجمة الإغراء

الفرنسية قد مرت فى السنوات الأخيرة بتحولات كبيرة جعلتها أكبر المدافعين فى فرنسا عن حقوق الحيوانات، وهى تعيش الآن فى منزل ريفى خارج باريس محاطة بعدد كبير من الحيوانات التى تقول إنها خير رفيق لها فى حياتها فى الوقت الحالى.

ويقول بعض علماء النفس إن بريجيت باردو قد عانت كثيرا فى شبابها من الاستغلال غير الإنسانى الذى تعرضت له، حيث عوملت كرمز جنسى، فلم يكن هناك أى احترام لها كإنسان ولا اعتبار لعقلها وإنما كان اهتمام الناس ينصب على جسدها وحده وعلى استغلال هذا الجسد إلى أقصى درجة. وربما كان هذا هو ما جعلها تثور فى شيخوختها على كل معاملة قاسية خاصة على الحيوان الأبكم، كما كانت هى بكماء لا تملك أن تثور على المعاملة التى كانت تلقاها من المجتمع.

وقد أعطتنى تلك النظرية بعض التفسير لمظهر بريجيت باردو الحالى، ولماذا لم تسع للاحتفاظ ببعض مظاهر الشباب التى ميزتها فى السابق، فحين قابلتها لو لم أكن أعرف مسبقا أننى سأقابل بريجيت باردو لما تعرفت عليها بسهولة، فقد بدت عليها علامات الزمن واضحة مثل التجاعيد التى تملأ وجهها وتحيط بعينيها، ومن الواضح أنها لم تسع أبدا لعمل أى من عمليات فرد الوجه التى صارت الآن عملية روتينية تجريها الكثير من السيدات فى الخارج بمجرد وصولهن إلى السن الذى تظهر فيه التجاعيد.

أما شعر فاتنة الإغراء السابقة، الفتاة الصغيرة التى كان يتهدل شعرها الأشقر على كتفيها فى إهمال مقصود، فقد تركته بريجيت كما هو يتهدل فوق وجهها من الأمام لكنها رفعته من فوق كتفيها إلى قمة رأسها، وقد تركت الشيب يزحف إليه دون أن تحاول حتى تلوينه كما يفعل الكثير من السيدات وكأنها بذلك تثور على مظهرها القديم الذى ارتبط بكونها رمزا جنسيا لا عقل له ولا روح.

شعرت فى نهاية مقابلتنا أننا وصلنا إلى طريق مسدود وشعر صديقى ببعض الحرج وأثناء توديعها لى يبدو أن بريجيت باردو شعرت هى الأخرى بشىء من ذلك، حيث قالت: شكرا جزيلا على دعوتك لكننى فى الحقيقة لا أسافر أبدا خارج أوربا الآن! وكأن هذا سبب عدم قبولها الدعوة.

❑❑❑

شون كونرى:
جيمس بوند هو نقمة حياتى!

ولد الممثل العالمى شــون كونرى لأســرة أســكتلندية فقيرة وما أن وصل إلى سن الصبا حتــى وضعــت الحرب العالمية أوزارها فترك الفتى الصغير الدراســة وحاول أن يعمل كى يكسب قوت يومه، واليوم صار شون كونرى أحد أكبر نجوم السينما العالمية بسبب قيامه بدور جيمس بوند الذى اشتهر به والذى تخلى عنه فجأة بمحض إرادته.

كنا نحضر أوبرا (عايدة) التى كانت وزارة الثقافة قد دأبت على إقامتها ســنويا بهدف تحويلها إلى مناســبة ثابتة فى المفكرة السنوية لمحبى فن الأوبرا فى جميع أنحاء العالم. وجاءنى زميل شاب مازال فى مقتبل حياته الصحفية وقال لى: هل تعرف الممثل العالمى شــون كونرى؟ قلت له: لا، لا أعرفه، قال الصحفى مندهشــا: كيف لا تعرفه، إنه ممثل أدوار جيمــس بونــد! قلت: نعــم أعرف أنه ممثــل أدوار جيمس بوند، لكنى لم يســبق لى التعــرف إليــه، قال: خســارة لقد تصورت أنــك تعرفه، فهو جالس هنــاك وأنا أريد التحدث إليه لكنى أخجل من التقدم إليه هكذا، فوددت أن تقدمنى إليه لو كنت تعرفه، قلــت: تعــال إذن لأقدمــك إليه، فالصحافة ليــس فيها انتظار للتعــارف، إنك من حقك كصحفى أن تتقدم لأية شــخصية عامة وتوجه لها ما تراه من أســئلة، طالما أنك لا تقتحم عليها خصوصيتها ونحن الآن فى مكان عام وشون كونرى شخصية عامة وأنت ممثل للرأى العام، كل ما فى الأمر أن عليك أن تتحلى بالذوق وألا تفرض نفسك عليه، فإذا لم يرغب فى الحديث يكون عليك أن تحترم رغبته.

وأخذت الزميل الشاب وذهبنا إلى حيث كان يجلس شون كونرى، وفى الطريق شكرنى الشــاب قائلا إنه لو لم يخرج من هذه المناســبة إلا بما قلته له لكفاه ذلك، قلت: عليك الآن أن تطبق هذا عمليا فتخرج أيضا بحديث مع شون كونرى.

ومن حسن حظ الصحفى الشاب أن شون كونرى كان من أكثر الممثلين العالميين تواضعا، فمــا أن توجهنــا إليه بالحديث حتى قام من على مقعده وســلم علينا فى أدب، وخشــيت أن أقدم له الصحفى الشــاب وأمضى فأبدو وكأننى لا أهتم فبدأت أولا بتوجيه بعض الأسئلة

عــن رأيــه فى تقديم (عايدة) فى هذا الموقع الخلاب أمام أهرامات الجيزة، ثم قلت له إننى لا أريد أن أستأثر بوقته كله واستأذنته فى أن أترك الفرصة لزميل صحفى يريد أن يوجه له بعض الأسئلة هو الآخر قبل أن يبدأ العرض، ثم تركتهما وعدت إلى مكانى.

وفى الاســتراحة تقابلنا ثانية فعرفنى كونرى بزوجته الفرنســية ميشلين وأمضينا بعض الوقــت نتحــدث عن مصر وعن اســكتلندا التــى قلت له إننى زرتها أكثــر من مرة، فقال لى شــون كونرى: أما أنا فلا أجد الوقت الآن لزيارتها، وعلمت أن شــون كونرى له شقة فــى نيويورك لكن إقامته الدائمة فــى بيت خاص به فى جزر البهاما حيث الهدوء والبعد عن صخب المدينة، كما أنه منذ تزوج ميشلين فى بداية السبعينيات وقد اشتريا بيتا ريفيا فى جنوب فرنسا.

وسألتنى زوجته ميشلين أين تستطيع أن تقتنى بعض التحف المصرية القديمة؟ وقالت إنها تهوى هى وزوجها جمع المقتنيات القديمة، وقال شــون كونرى إن لديهما فى منزل البهاما لوحة قديمة مطرزة بآيات قرآنية غاية فى الجمال أهداها لهما أحد أصدقاء شــون كونرى خلال زيارة قاما بها للمغرب.

وشــون كونرى قد دأبنا فى مصر على تسميته خطأ بشين كونرى، لكن النطق الصحيح لاسمه هو شون وهو الاسم المرادف فى اللغة الاسكتلندية لـ (جون) فى اللغة الإنجليزية، وكان كونرى هو أول من جســد أدوار جيمس بوند فى الأفلام الأمريكية والتى ذاع ســيطها فى العالم أجمع، وقد سألت شون كونرى عن دور جيمس بوند الذى جعل منه نجما عالميا تعرفه الجماهير فى جميع دول العالم، فقال لى إن هذا الدور هو نقمة حياته، وقال إنه كان يستمتع بالقيام به فى البداية لكنه حين تكرر التصق به الدور ولم يعد يستطيع الفكاك منه، وقد ســبب له ذلك أزمة فى حياته لأنه كأى ممثل كان يشــعر بأن لديه إمكانات تمثيلية تطــوق للقيــام بأدوار متنوعة، وأن أكبر لعنة يمكن أن تصيب ممثلا هى أن يحكم عليه بأن يظل يمثل دورا واحدا طوال حياته.

قلت له: لكنك لم تعد تمثل أدوار جيمس بوند الآن.

قال: كان هذا قرارا جريئا من جانبى، فقد اســتجمعت شجاعتى وقررت ألا أقوم بهذا الدور ثانية، وأعتقد أن الشــهرة التى حققتها أعطتنى القوة لأن أفعل ذلك فأعطى الفرصة لممثل آخر أن يقدم جديدا فى هذا الدور وأن أعطى نفسى الفرصة للتحرر من أسر جيمس

بوند والقيام بأدوار أخرى أكثر تنوعا.

قلت: لقد سمعت أنك رفضت أخيرا دورا فى فيلم كان أجرك فيه سيصل إلى ١٨ مليون دولار، فهل هذا صحيح؟

قال: نعم، فالدور لم يعجبنى رغم أنه لم يكن يمثل شخصية جيمس بوند، لقد وصلت الآن إلى مرحلة أريد فيها أن أستمتع بالأدوار التى أقوم بها فإن لدى من المال ما يسمح لى بأن انتقى أدوارى بشكل أفضل.

وتحدث شون كونرى عن طفولته فى العاصمة الاسكتلندية أدنبرا وكيف بدأت الحرب العالمية الثانية وهو مازال صبيا فى التاسعة وكيف ترك المدرسة واضطر للعمل ولم يعد للتعليم بعد ذلك، ثم قال: لذلك فمن حقى الآن أن استمتع بحياتى وأن أستمتع أيضًا بعملى.

وسألت ميشلين زوجته الفرنسية التى قابلها لأول مرة فى مراكش قبل ٣٠ عاما: ما هى فى رأيك أجمل صفات شون كونرى؟

قالت: براءته وصدقه وشهامته وتواضعه الجم رغم الشهرة العالمية التى حظى بها والتى كثيرا ما تجعل من بعض النجوم قمة فى العجرفة.

فقال شون كونرى: لقد كان من حسن حظى أن قابلت روبرت ميتشوم فى بداية حياتى حين بدأ نجمى يبرز فى سماء السينما العالمية، فقد قال لى شيئا لم أنسه أبدا، فقد همس فى أذنى: (لا تأخذ مسألة النجومية هذه مأخذ الجد؛ فكل ذلك البريق ما هو إلا فقاقيع هواء يمكن أن تزول فى أى وقت)! ثم يقول شون كونرى: لقد كان ميتشوم على حق، فما يبقى للإنسان فى النهاية هو حياته الفعلية وعلاقاته الإنسانية، بأقربائه.

ثم يضيف: إننى أرغب حين أنظر ورائى أن أجد ما يمكن أن أفخر بأننى حققته.

قلت: وماذا تجد حين تنظر الآن وراءك؟

قال: أجد جائزة الأوسكار التى فزت بها عن دورى فى فيلم (المحرمون).

وجائزة (الدب الذهبى) من مهرجان برلين، كما أجد أيضا تكريم ملكة بريطانيا لى بمنحى لقب (سير).

وحين قابلت الزميل الشاب بعد الحفل سألته إن كان راضيا عن حديثه مع شون كونرى فقال لى: إن إنجليزيته صعبة جدا لذلك لم أفهم شيئا مما قال!!

❑❑❑

تونى بلير:
أجمل ما فى منصب رئيس الوزراء.. مقره الريفى!

سـألت تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا عن هواياته فقال إنها كثيرة من بينها الرياضة ولعب آلة (الجيتار)، ثم ضحك. وقال: لقد كان أصدقائى من العازفين يسـألوننى دائما: ماذا ستفعل للموسيقى حين تصبح رئيسا للوزراء؟ فكنت أقول: أعدكم بأننى سأتوقف عن لعب الجيتار، لكنى حتى الآن لم أسد للموسيقى هذه الخدمة التى وعدت بها! إلا أن ذلك لم يكن الوعد الوحيد الذى قطعه بلير على نفسه ولم ينفذه.

حين أتت انتخابات عام ١٩٩٧م فى بريطانيا بتونى بلير إلى رئاسـة الوزراء كان فى الـ ٤٥ من عمره وكان بذلك هو أصغر رئيس وزراء لبريطانيا منذ القرن الـ ١٨، كانت الحياة السياسـية فى حزبه باعتباره يمثل جيلا جديدا من رجال السياسـة الذين لابد ستختلف سياساتهم عن سياسة حزب المحافظين القدامى.

وحين التقيت بتونى بلير لم تكن أزمة الحرب العراقية قد ظهرت فى الأفق بعد. وكان بلير مازال يمثل المسـتقبل المشـرق للسياسـة البريطانية، بعد أن نفضت عن نفسها غبار ثمانية عشـر عاما من حكم المحافظين وأتت بجيل جديد من العمال الذين اسـتطاع بلير أن يقودهم إلى مقر رئاسـة الوزراء الشـهير فى ١٠ – شـارع داوتنيخ، وقد غير بلير بذلك الصـورة التقليدية لرئيس الوزارة البريطانى العجوز، كمـا غير الكثير من اللوائح والقوانين البالية وانعكس هذا التغيير على المجال الخارجى أيضا فتم لأول مرة توقيع اتفاق سلام مع أيرلندا كما تأكد الانتماء القارى لبريطانيا داخل الاتحاد الأوربى.

وقد أخبرتنى آنجى هانتر مسـاعدة رئيس الوزراء أن تونى بلير يختلف عن رؤسـاء الوزراء السابقين فى كل شىء حتى فى طريقة عمله، فهو يعمل دائما من على الأريكة From the Sofa على حد قولها، أى إنه يفضل أن يجلس على الأريكة وليس على المكتب ويفرد على المنضدة الموضوعة أمامه أوراق الموضوع الذى يبحثه بينما يجلس مسـاعدوه على المقاعد التى حوله، وتقول آنجـى (أنا لم أره أبدا طوال العام الماضى جالسا على مكتب رئيس الوزراء إلا فى بعض المقابلات أو ربما للتحدث فى التليفون

وفى أيام الصيف حين تكون الشمس مشرقة كثيرا ما يأخذ أوراقه إلى الشرفة فيعمل من هناك).

ولقد سألت تونى بلير عن سر طريقة عمله هذه فقال: لقد تعودت المذاكرة فى أيام الدراسة على مائدة السفرة وليس على المكتب، وإنى أجد أننى أنجز أكثر بهذه الطريقة لأننى لا أشعر وأنا بعيد عن المكتب أننى أعمل.

وإلى جانب مقر رئاسة الوزراء الذى يحمل رقم ١٠ بشارع داوننج فإن لرئيس الوزراء البريطانى أيضا مقرا ريفيا فى مقاطعة باكنجها مشير، وهو مبنى يعود تاريخه إلى القرن الـ١٦ وقد أخبرنى بلير أن هذا القصر القديم هو أجمل شىء فى منصب رئيس الوزراء، وأنه من الأشياء القليلة التى تعيد إليه راحة البال بعد شهور العمل الطويلة فى شتاء لندن البارد.

ويحكى بعض معاونى بلير أنهم كانوا فى اجتماع برئيس الوزراء بالمقر الريفى وفى تمام الساعة ٤ بعد الظهر أنهى بلير الاجتماع وقال لهم: والآن من منكم يريد أن يلعب مباراة كرة القدم فى الحديقة؟ وبعد قليل كان بلير مع ولديه إيوان ونيكى ومن انضموا إليهم من المعاونين يلعبون الكرة على حشائش الحديقة الخضراء.

أما بلير نفسه فقد روى لى أن الأميرة الراحلة ديانا قد دعيت لقضاء يوم الأحد بقصر باكنجها مشير مع ولديها الأميرين وليام وهارى وذلك قبل رحيلها بشهرين فقط، ثم يضيف: لكن ولدى لم يقوما بأدب الضيافة كما يجب فقد هزما الأميرين فى الكرة هزيمة نكراء.

كان لقائى هذا بتونى بلير فى أوائل عام ١٩٩٨م حين قام بزيارته الأولى لمصر بمجرد أن أكمل سنة فى الوزارة، وقلت له ونحن جلوس على مائدة الإفطار إن الآمال مازالت معقودة عليه فى العالم العربى لتحرير السياسة البريطانية فى الشرق الأوسط من أسر سياسة الولايات المتحدة وإتباع سياسة تنبع من مصالحكم الخاصة لكونكم دولة كبرى لا تقل عن فرنسا أو روسيا أو الصين.

فابتسم بلير ابتسامته الشهيرة التى ميزت صوره طوال فترة الانتخابات وكان لها تأثير كبير فى نجاحه ثم قال: إن عاما واحدا هو فترة قصيرة فى رئاسة الوزراء ولا نستطيع خلاله أن نحقق كل ما نتطلع إليه.

قلت: وهل تتطلعون بالفعل إلى سياسة مستقلة عن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط؟

وهنا اختفت الابتسامة فى هدوء لتفسح المجال للتعبير الجاد الذى كسا وجه رئيس الوزراء وهو يقول: إن الدور الأمريكى فى الشرق الأوسط دور حيوى لا يمكن استبعاده، لذلك فالسياسة الحكيمة هى التى لا تسعى للصدام مع الموقف الأمريكى وإنما لتنشيطه وحثه على المضى قدما فى طريق إحلال التسوية العادلة لجميع شعوب المنطقة. ثم قال: إن لدينا تصورا متكاملا عن سياستنا فى الشرق الأوسط وهى ليست بالضرورة متطابقة مع السياسة الأمريكية، ومع الوقت ستعبر هذه السياسة عن نفسها وفق كل مناسبة.

قلت: أستطيع أن أؤكد لك أن العالم العربى بأسره سيكون فى الانتظار.

ولقد كنت فى زيارة لإدنبرة عاصمة اسكتلندا فى العام الذى فاز فيه بلير فى الانتخابات وهناك قابلت رجلا عجوزا خفيف الظل يدعى إريك أندرسون كان فى السابق يعمل مدرسا بمدرسة (فيتس كوليدج) التى درس بها الصبى تونى بلير، وقد روى لى مستر أندرسون أن تونى الصغير كان دائم المجادلة وكثيرا ما كان يذهب إليه مبديا اعتراضه على أحد قوانين المدرسة وطالبا تغييرها، وقال أندرسون إن نقطة الخلاف كانت دائما طول شعر تونى والذى لم تكن تسمح به لوائح المدرسة فكان دائما يطلب إليه قصه.

أما على المستوى الدراسى فقد قال لى أندرسون إن تونى كان متقدما فى دراسته إلى حد كبير، لكن مشكلته أنه حين كان يطلب منه مستر أندرسون وضع كلمة فى جملة مفيدة كانت جملة تونى تأتى دائما خالية من الفعل.

ومنذ التقيت بتونى بلير وحتى الآن وقعت أحداث كثيرة كان أهمها حرب العراق التى تسببت فى إيجاد تطابق أكبر فى السياسة الخارجية البريطانية مع الولايات المتحدة، وما أومأ إليّ به بلير قائلا إنه سيفعله فى المستقبل باعتبار أن سنة واحدة فى الوزارة ليست كافية لتغيير كل السياسات، لم يحدث، ولو علم إريك أندرسون بذلك لقال لى: ألم أحدثك عن غياب الفعل عند تونى بلير؟!

❑❑❑